قال الامام الصادق عليه السلام: ((إن الله إذا أراد خلق إمام انزل قطرة من تحت عرشه على بقلة من بقل الارض أو ثمرة من ثمارها فأكلها الامام الذي يكون منه الامام فكانت النطفة من تلك القطرة)).

بصائر الدرجات للصفار، ج ٢، ص ٣٣٢، ح ١

الإشراف العام
الشيخ علي الفتلاوي

رئيس التحرير
السيد نبيل الحسني

مدير التحرير
الشيخ وسام البلداوي

هيئة التحرير
محمد رزاق السعدي
السيد حسين الزاملي

التدقيق اللغوي
خالد جواد العلواني

التصميم والإخراج الفني
السيد علي ماميثة
أحمد محسن المؤذن

تنفيذ
مطبعة دار الضياء

٢ قطوف دانية من السيرة الحسينية
الأذان ومعانيه عند الإمام الحسين عليه السلام

٤ شبهات حول القرآن
إبراهيم الخليل عليه السلام في كتاب الله

٦ على ضفاف نهج البلاغة
الشورى العمرية : أسبابها ونتائجها الوخيمة على الأمة

٨ مدارات فكرية في مدرسة العترة النبوية
عالم البرزخ والقبر وسؤال منكر ونكير

١٠ أخلاقك هويتك
الخوف من الله

١٢ مباحث عقائدية
العدالة الالهية

١٤ أعلام الشيعة
السيد محمد حسن ابن السيد محمود الحسيني الشيرازي
المجدد المعروف بالشيرازي الكبير (قدس سره)

١٦ معاجز أهل البيت عليهم السلام وكراماتهم
خاتم العقيق وما نقش عليه

١٧ من مناهل مدرسة الدعاء
على مائدة الصحيفة السجادية -الحلقة السابعة عشر-

١٨ فقه الأسرة وشؤونها
مراقبة الأطفال من مسؤولية الأسرة

٢٠ عبر من التاريخ
إنَّ هذا لا يُمكن مقاومته

٢١ معارف عامة
العطاس

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
-وزارة الثقافة لسنة ١٢١١: ٢٠٠٩

هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦-داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم Email:info@imamhussain-lib.org

كلمة العدد

مفتاح العلم

حقيقة العبودية

حثت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة على طلب العلم وبينت رتبة العلماء ومنزلتهم عند الله تعالى ورسوله وأهل بيته (عليهم السلام)، كما اشارت الى وجود حقوق للمعلم على المتعلم وللمتعلم على المعلم، وبينت شروط تحصيل العلم الحصولي وأجر طالبه ومعطيه وفضلهما على غيرهما، ومن يقرأ هذه الروايات يتبلور في ذهنه أن العلم يؤخذ بالطلب والتحصيل والجد والمثابرة ولا بأس أن نذكر بعض الروايات:

- ما دل على فضل العلم قول أمير المؤمنين عليه السلام: (رأس الفضائل العلم)، (غاية الفضائل العلم).
- ما دل على فضل طالب العلم قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (طالب العلم ركن الإسلام، ويعطى أجره مع النبيين).
- ما دل على الحث على طلب العلم قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (اطلبوا العلم ولو بالصين، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم).
- ما دل على فضل تعليم العلم قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (أفضل الصدقة أن يعلم المرء علماً ثم يعلّمه أخاه).
- ما دل على حقوق المتعلم على المعلم قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لينوا لمن تعلمون، ولمن تتعلمون منه).
- ما دل على حقوق المعلم على المتعلم قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من علّم شخصاً مسالة فقد ملك رقبته ... الخ).
- ما دل على الشروط التي يجب أن يتصف بها المتعلم قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يتم عقل المرء حتى يتم فيه عشر خلال.. لا يسأم من طلب العلم طول عمره) وغيرها من الشروط.

فيظهر من هذه الأحاديث أن هذا العلم هو العلم الحصولي الذي يحصل عليه الطالب من خلال الأستاذ والمعلم، ولكن هناك علماً آخراً لا يحتاج الى تعلم وطلب ومعلّم وأستاذ، وهذا ما أشار إليه الإمام الصادق (عليه السلام) في قوله: (العنوان البصري): (ليس العلم بالتعلم، إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه، فإن اردت العلم فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية... الخ).

المشرف العام

الأذان ومعانيه عند الإمام الحسين عليه السلام

قال الصدوق: حدّثنا أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المروزى، عن محمّد بن جعفر المقري، عن محمّد ابن الحسن الموصلي، عن محمّد بن عاصم الطريفي، عن عيّاش بن يزيد ابن الحسن، عن أبيه، عن موسى بن جعفر، عن آبائه، عن الحسين بن علي عليهم السلام قال:

«كُنّا جُلُوساً فِي المَسْجِدِ، إِذْ صَعِدَ المُؤَذِّنُ المَنارَةَ، فَقالَ: اللَّه أكْبَرَ اللَّه أكْبَر، فَبَكَى أميرُ المُؤْمنينَ عَلِيُّ بْنُ أبي طالِبٍ عليه السلام، وَبَكَيْنا بِبُكائِه، فَلَمّا فَرِغَ المُؤَذِّنُ.

قال: أتدرون ما يقول المؤذن؟ قلنا: «اللّه وَرَسُولُهُ وَوَصِيُّهُ أعْلَمُ، فقال: لو تعلمون ما يقول لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، فلقوله اللّه أكبر معان كثيرة:

منها: أنّ قول المؤذن اللّه أكبر، يقع على قدمه، وأزليّته، وأبديّته، وعلمه، وقوّته، وقدرته، وحلمه، وكرمه، وجوده، وعطائه، وكبريائه.

فإذا قال المؤذن: اللّه أكبر، فإنّه يقول: اللّه الذي له الخلق والأمر، وبمشيته كان الخلق، ومنه كان كلّ شيء للخلق، وإليه يرجع الخلق، وهو الأوّل قبل كلّ شيء لم يزل، والآخر بعد كلّ شيء لا يزال، والظّاهر فوق كلّ شيء لا يدرك، والباطن دون كلّ شيء لا يحدّ، فهو الباقي، وكلّ شيء دونه فانٍ.

والمعنى الثاني: اللّه أكبر، أي العليم الخبير، علم ما كان وما يكون قبل أن يكون.

والثالث: اللّه أكبر: أي القادر على كلّ شيء، يقدر على ما يشاء، القوي لقدرته، المقتدر على خلقه، القويّ لذاته، وقدرته قائمة على الأشياء كلّها، إذا قضى أمراً فإنّما يقول له: كن، فيكون.

والرابع: اللّه أكبر: على معنى حلمه، وكرمه، يحلم كأنّه لا يعلم، ويصفح كأنه لا يرى، ويستر كأنّه لا يعصى، ولا يعجّل بالعقوبة كرماً، وصفحاً، وحلما.

والوجه الآخر في معنى اللّه أكبر: أي الجواد، جزيل العطاء، كريم الفعال.

والوجه الآخر: اللّه أكبر: فيه نفي كيفيته، كأنّه يقول: اللّه أجلّ من أن يدرك الواصفون قدر صفته، الذي هو موصوف به، وإنّما يصفه الواصفون على قدرهم لا على قدر عظمته وجلاله، تعالى اللّه عن أن يدرك الواصفون صفته علوّاً كبيراً.

والوجه الآخر: اللّه أكبر: كأنّه يقول: اللّه أعلى وأجلّ، وهو الغنيّ عن عباده، لا حاجة به إلى أعمالهم.

وأمّا قوله: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه: فإعلام بأنّ الشّهادة لا تجوز إلاّ بمعرفة من القلب، كأنّه يقول: أعلم أنّه لا معبود إلاّ اللّه عزّ وجلّ، وأنّ كلّ معبود باطل، سوى اللّه عزّ وجلّ، وأقرّ بلساني بما في قلبي من العلم،

بأنّه لا إله إلاّ اللّه، وأشهد أنّه لا ملجأ من اللّه عزّ وجلّ إلاّ إليه، ولا منجي من شرّ كلّ ذي شر، وفتنة كلّ ذي فتنة إلاّ باللّه.

وفي المرّة الثانية: أشهد أن لا إله إلا اللّه، معناه أشهد أن لا هادي إلاّ اللّه، ولا دليل إلاّ اللّه، وأشهد اللّه بأني أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، وأشهد سكّان السموات، وسكان الأرض، وما فيهن من الملائكة والناس أجمعين، وما فيهنّ من الجبال، والأشجار، والدّواب، والوحوش، وكلّ رطب ويابس، بأنّي أشهد أن لا خالق إلاّ اللّه، ولا رازق، ولا معبود، ولا ضارّ، ولا نافع، ولا قابض، ولا باسط ولا معطي، ولا مانع، ولا دافع، ولا ناصح، ولا كافي، ولا شافي، ولا مقدّم، ولا مؤخّر إلاّ اللّه، له الخلق والأمر، وبيده الخير كلّه، تبارك اللّه ربّ العالمين.

وأمّا قوله: أشهد أنّ محمداً رسول اللّه، يقول: أشهد اللّه على أنّي أشهد أنه لا إله إلاّ هو، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، ونبيه وصفيه ونجيبه، وأرسله إلى كافّة الناس أجمعين بالهدى ودين الحق ليظهره على الدّين كلّه ولوكره المشركون، وأشهد من في السموات والأرض من النّبيّين والمرسلين، والملائكة والناس أجمعين أنّي أشهد أنّ محمّداً رسول اللّه سيّد الأولين والآخرين.

وفي المرة الثانية: أشهد أنّ محمّداً رسول اللّه، يقول: أشهد أن لا حاجة لأحد إلى أحد إلاّ إلى اللّه الواحد القهّار، الغنيّ عن عباده والخلائق أجمعين، وأنّه أرسل محمّداً إلى النّاس بشيراً ونذيراً وداعياً إلى اللّه بإذنه وسراجا منيراً، فمن أنكره وجحده، ولم يؤمن به أدخله اللّه عز وجل نار جهنم خالداً مخلّداً، لا ينفكّ عنها أبداً.

وأمّا قوله: حيّ على الصّلاة، أي هلمّوا إلى خير أعمالكم، ودعوة ربّكم، وسارعوا إلى مغفرة من ربّكم، وإطفاء ناركم التي أوقدتموها على ظهوركم، وفكاك رقابكم التي رهنتموها بذنوبكم ليكفّر اللّه عنكم سيّئاتكم ويغفر لكم ذنوبكم، ويبدّل سيّئاتكم حسنات، فإنّه ملك كريم، ذو الفضل العظيم، وقد أذن لنا معاشر المسلمين بالدّخول في خدمته، والتقدّم إلى بين يديه.

وفي المرة الثانية: حيّ على الصّلاة، أي قوموا إلى مناجاة ربّكم وعرض حاجاتكم على ربّكم، وتوسّلوا إليه بكلامه، وتشفّعوا به، وأكثروا الذّكر والقنوت، والرّكوع والسّجود، والخضوع والخشوع، وارفعوا إليه حوائجكم، فقد أذن لنا في ذلك.

وأمّا قوله: حيّ على الفلاح، فإنّه يقول: أقبلوا إلى بقاء لا فناء معه، ونجاة لا هلاك معها، وتعالوا إلى حياة لا ممات معها، وإلى نعيم لا نفاد له، وإلى ملك لا زوال عنه، وإلى سرور لا حزن معه، وإلى أنس لا وحشة معه، وإلى نور لا ظلمة معه، وإلى سعة لا ضيق معها، وإلى بهجة لا انقطاع لها، وإلى غنى لا فاقة معه، وإلى صحّة لا سقم معها، وإلى عزّ لا ذلّ معه، وإلى قوّة لا ضعف معها، وإلى كرامة يا لها من كرامة، وعجّلوا إلى سرور الدّنيا والعقبى، ونجاة الآخرة والأولى.

وفي المرة الثانية: حيّ على الفلاح، فإنّه يقول: سابقوا إلى ما دعوتكم إليه، وإلى جزيل الكرامة، وعظيم المنّة، وسني النّعمة، والفوز العظيم، ونعيم الأبد، في جوار محمّد صلى اللّه عليه وآله وسلم، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وأمّا قوله: اللّه أكبر اللّه أكبر، فإنّه يقول: اللّه أعلى وأجلّ من أن يعلم أحد من خلقه، ما عنده من الكرامة لعبد أجابه وأطاعه، وأطاع أمره وعرفه وعرف وعيده، وعبده واشتغل به وبذكره، وأحبّه وأنس به، واطمأنّ إليه ووثق به وخافه ورجاه، واشتاق إليه، ووافقه في حكمه وقضائه، ورضي به.

وفي المرة الثانية: اللّه أكبر، فإنّه يقول: اللّه أكبر وأعلى وأجلّ من أن يعلم أحد مبلغ كرامته لأوليائه، وعقوبته لأعدائه، ومبلغ عفوه وغفرانه ونعمته لمن أجابه وأجاب رسوله، ومبلغ عذابه ونكاله وهو أنه لمن أنكره وجحده.

وأمّا قوله: لا إله إلاّ اللّه معناه: للّه الحجّة البالغة عليهم، بالرّسول والرّسالة، والبيان والدّعوة، وهو أجلّ من أن يكون لأحد منهم عليه حجّة، فمن أجابه فله النور والكرامة، ومن أنكره فإن اللّه غنيّ عن العالمين، وهو أسرع الحاسبين.

ومعنى قد قامت الصلاة في الإقامة، أي حان وقت الزّيارة والمناجاة، وقضاء الحوائج، ودرك المنى، والوصول إلى اللّه عزّ وجلّ، وإلى كرامته، وغفرانه وعفوه ورضوانه».

قال الصدوق: إنّما ترك الراوي ذكر حيّ على خير العمل للتقيّة، وقد روي في خبر آخر أنّ الصادق عليه السلام سُئل عن معنى حيّ على خير العمل، فقال:

«خير العمل الولاية».

وفي خبر آخر:

«خير العمل: برّ فاطمة وولدها عليهم السلام».

علّة خلق العباد ومعرفة الإمام عليه السلام

قال الصدوق، حدثنا أبي رضي اللّه عنه، قال: حدثنا أحمد بن إدريس، عن الحسين بن عبيد اللّه، عن الحسن بن علي ابن أبي عثمان عن عبد الكريم بن عبيد اللّه، عن سلمة بن عطاء عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال:

«خرج الحسين بن علي عليهما السلامِ على أصحابه فقال: أيُّها النّاس! إنَّ اللّه جَلَّ ذِكْرُهُ ما خَلَقَ العِبادَ إلاّ لِيَعْرِفُوهُ، فَإذا عَرَفُوهُ عَبَدُوهُ، فَإذا عَبَدُوهُ اسْتَغْنَوا بِعِبادَتِهِ عَنْ عِبادَةِ ما سِواهُ.

فقال له رجل: يا بن رسول اللّه بأبي أنت وأمّي فما معرفة اللّه؟ قال: مَعْرِفَةُ أَهْلِ كُلِّ زَمانٍ إمامَهُمُ الَّذي يَجِبُ عَلَيْهِمْ طاعَتُهُ».

المصدر: موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٥٣٦ ـ ٥٤٠.

إبراهيم الخليل عليه السلام في كتاب اللّه

إبراهيم عليه السلام لم يكذب قط

جاء في أحاديث العامّة برواية أبي هريرة ـ وهي أشبه بالإسرائيليّات ـ (أنّ إبراهيم عليه السلام كَذَب ثلاث كذبات: ثنتين في ذات اللّه؛ قوله: ((...إِنِّي سَقِيمٌ))، وقوله: ((...بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ...)).

والثالثة بشأن سارة: أنّها أُخته)[١].

وفي حديث الشفاعة برواية أبي هريرة أيضاً: (أنّ أهل الموقف يأتون الأنبياء واحداً بعد واحد يستشفعون منهم، حتّى يأتوا إبراهيم فيأبى معتذراً: إنّي كذبت ثلاث كذبات ولستُ هناكم[٢].

وقد وصفت لجنة مشايخ الأزهر هذه الروايات بالصحاح، وعارضت الأستاذ عبد الوهاب النجّار استنكاره لهذه المفتريات[٣].

قلت: وحاشا إبراهيم الخليل ـ الداعي إلى الحنيفيّة البيضاء ـ أنّ ينطق بكذب، وإنّما كُذِبَ عليه بلا ريب، والرواية عاميّة الإسناد لا اعتداد بها في مجالات كهذه.

ولقد أجاد الإمام الرازي حيث قال: (فلأنْ يُضاف الكَذِب إلى رواة هذا الخبر أولى من أنْ يُضاف إلى الأنبياء، وأخذ في تأويل الموارد الثلاثة، وأضافَ قائلاً: وإذا أمكن حَمل الكلام على ظاهره من غير نسبة الكَذِب إلى الأنبياء فحينئذٍ لا يحكم بنسبة الكذب إليهم إلاّ زنديق)[٤].

أمّا قوله: (إِنِّي سَقِيمٌ) فلعلّه أراد وهن حالته الجسديّة ممّا كان يرى قومه على عَمَه الغباء، وقد أحسّ ألماً شديداً انتاب قلبه المرهف تجاه تلكمُ الجهالات العارمة.

وأمّا قوله (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ) فقولة قالها مستهزئاً بهم مستخفّاً عقليّتهم الكاسدة.

والكَذِب لا يكون إلاّ لغرض التمويه، أمّا إذا كان السامعون عارفين بواقع الأمر، وأنّ إبراهيم لم يقصد الحقيقة وإنّما أراد التسفيه من عقولهم محضاً فهذا لا يُعدّ كَذِباً؛ لأنّ الكَذِب إخبار في ظاهر غير مطابق للواقع، وهذا إنشاء لمحض التسفيه والهزء بهم، والإنشاء لا يَحتمل الصدق والكَذِب فتدبّر أيّها القارئ.

وقال العلامة صاحب كتاب الامثل في هذه الاية: (قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم)؟

هؤلاء لم يكونوا مستعدّين حتّى للقول: أأنت حطّمت آلهتنا وجعلتها قطعاً متناثرة؟ بل قالوا فقط: أأنت فعلت بآلهتنا ذلك؟

فأجابهم إبراهيم جواباً أفحمهم، وجعلهم في حيرة لم يجدوا منها مخرجاً (قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون).

إنّ من أسس علم معرفة الجرائم أن يكون المتّهم بادية عليه آثار الجريمة، والملاحظ هنا أنّ آثار الجريمة كانت باديةً على يد الصنم الكبير، وفقاً للرواية المعروفة: إنّ إبراهيم جعل الفأس على رقبة الصنم الكبير.

لماذا تأتون إليّ؟ ولماذا لا تتّهمون إلهكم الكبير؟ ألا تحتملون أنّه غضب على الآلهة الصغيرة، أو إنّه عدّهم منافسيه في المستقبل فعاقبهم.

ولمّا كان ظاهر هذا التعبير لا يطابق الواقع في نظر المفسّرين، ولمّا كان إبراهيم نبيّاً معصوماً ولا يكذب أبداً، فقد ذكروا تفاسير مختلفة، وأفضلها كما يبدو هو:

إنّ إبراهيم عليه السلام قد نسب العمل إلى كبير الأصنام قطعاً، إلاّ أنّ كلّ القرائن تشهد أنّه لم يكن جادّاً في قصده، بل كان يريد أن يزعزع عقائد الوثنيين الخرافية الواهية، ويفنّدها أمامهم، ويُفهم هؤلاء أنّ هذه الأحجار والأخشاب التي لا حياة فيها ذليلة وعاجزة إلى الحدّ الذي لا تستطيع أن تتكلّم بجملة واحدة تستنجد بعبّادها، فكيف يريدون منها أن تحلّ معضلاتهم؟!

ونظير هذا التعبير كثير في محادثاتنا اليوميّة، فنحن إذا أردنا إبطال أقوال الطرف المقابل نضعِ أمامه مسلّماته على هيئة الأمر أو الإخبار أو الاستفهام، وهذا ليس كذباً أبداً، بل الكذب هو القول الذي لا يمتلك القرينة معه.

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام في كتاب الكافي قال:

«إنّما قال: بل فعله كبيرهم، إرادة الإصلاح، ودلالة على أنّهم لا يفعلون».

ثمّ قال:

«واللّه ما فعلوه وما كذّب».

واحتمل جمع من المفسّرين أنّ إبراهيم قد أدّى هذا المطلب بشكل جملة شرطيّة وقال: إنّ الأصنام إذا كانت تتكلّم فإنّها قد فعلت هذا الفعل، ومن المسلّم أنّ هذا التعبير لم يكن خلاف الواقع، لأنّ الأصنام لم تكن تتكلّم، ولم تكن قد أقدمت على مثل هذا العمل، ولم يصدر منها، ووردت رواية في مضمون هذا التّفسير أيضاً.

إلاّ أنّ التّفسير الأوّل يبدو هو الأقرب، لأنّ الجملة الشرطيّة (إن كانوا ينطقون) جواب الطلب في (فاسألوهم)، وليست

شرطاً لجملة (بل فعله كبيرهم)، (فلاحظوا بدقّة).

واللطيفة الأخرى التي ينبغي الالتفات إليها هي: إنّ العبارة هي أنّه يجب أن يسأل من الأصنام المحطّمة الأيدي والأرجل عمّن فعل بها ذلك، لا من الصنم

الكبير، لأنّ ضمير (هم)، وكذلك ضمائر (إن كانوا ينطقون) كلّها بصيغة الجمع، وهذا أنسب مع التّفسير الأوّل.

لقد هزّت كلمات إبراهيم الوثنيين وأيقظت ضمائرهم النائمة الغافلة، وأزاح الرماد عن شعلة النّار فأضاءها، وأنار فطرتهم التوحيديّة من خلف حجب التعصّب والجهل.

في لحظة سريعة استيقظوا من هذا النوم العميق ورجعوا إلى فطرتهم ووجدانهم، كما يقول القرآن: (فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنّكم أنتم الظالمون) فقد ظلمتم أنفسكم ومجتمعكم الذي تنتمون إليه، وكذلك ساحة الله واهب النعم المقدّسة.

والطريف في الأمر أنّنا قرأنا في الآيات السابقة أنّهم اتّهموا إبراهيم بكونه ظالماً، وهنا قبلوا واعترفوا في أنفسهم بأنّ الظالم الأصلي والحقيقي هو أنفسهم.

وفي الواقع فإنّ كلّ مراد إبراهيم من تحطيم الأصنام تحطيم فكر الوثنية وروح الصنمية، لا تحطيم الأصنام ذاتها، إذ لا جدوى من تحطيمها إذا صنع الوثنيّون العنودون أصناماً أكبر منها وجعلوها مكانها، وتوجد أمثلة كثيرة لهذه المسألة في تاريخ الأقوام الجاهلين المتعصّبين.

إلى الآن استطاع إبراهيم أن يجتاز بنجاح مرحلة حسّاسة جداً عن طريق تبليغه الرسالة، وهي إيقاظ الضمائر عن طريق إيجاد موجة نفسيّة هائجة.

ولكن للأسف، فإنّ صدأ الجهل والتعصّب والتقليد الأعمى كان أكبر من أن يُصقل ويُمحى تماماً بنداء بطل التوحيد.

وللأسف لم تستمر هذه اليقظة الروحية المقدّسة، وثارت في ضمائرهم الملوّثة المظلمة قوى الشيطان والجهل ضدّ نور التوحيد هذا، ورجع كلّ شيء إلى حالته الأُولى، وكم هو لطيف تعبير القرآن حيث يقول: (ثمّ نكسوا على رؤوسهم) ومن أجل أن يأتوا بعذر نيابة عن الآلهة البُكم قالوا: (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) فإنّهم دائماً صامتون، ولا يحطّمون حاجز الصمت(٥).

واما العلامة الطباطبائي فقال: (قوله تعالى: (قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون) ما أخبر عليه السلام به بقوله: (بل فعله كبيرهم هذا) دعوى بداعي إلزام الخصم وفرض وتقدير قصد به إبطال ألوهيتها كما سيصرح به في قوله (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم).

و ليس بخبر جدي البتة، وهذا كثير الورود في المخاصمات والمناظرات فالمعنى قال: بل شاهد الحال وهو صيرورة الجميع جذاذا وبقاء كبيرهم سالما يشهد أن قد فعله كبيرهم هذا وهو تمهيد لقوله: (فاسألوهم).

و قوله: (فاسألوهم إن كانوا ينطقون) أمر بأن يسألوا الأصنام عن حقيقة الحال وأن الذي فعل بهم هذا من هو؟ فيخبروهم به إن كانوا ينطقون فقوله: (إن كانوا ينطقون) شرط جزاؤه محذوف يدل عليه قوله فاسألوهم.

فتحصل أن الآية على ظاهرها من غير تكلف إضمار أو تقديم وتأخير أو محذور تعقيد، وأن صدرها المتضمن لدعوى استناد الفعل إلى كبيرهم إلزام للخصم وتوطئة وتمهيد لذيلها وهو أمرهم بسؤال الأصنام إن نطقوا لينتهي إلى اعتراف القوم بأنهم لا ينطقون.

وربما قيل: إن قوله: (إن كانوا ينطقون) قيد لقوله: (بل فعله كبيرهم) والتقدير: بل إن كانوا ينطقون فعله كبيرهم، وإذ كان نطقهم محالا فالفعل منه كذلك و قوله: (فاسألوا) جملة معترضة.

وربما قيل: إن فاعل قوله: (فعله) محذوف والتقدير بل فعله من فعله ثم ابتدأ فقيل: كبيرهم هذا فاسألوهم... و ربما قيل: غير ذلك و هي وجوه غير خالية من التكلف لا يخلو الكلام معها من التعقيد المنزه عنه كلامه تعالى.

قوله تعالى: (فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون) تفريع على قوله: (فاسألوهم إن كانوا ينطقون) فإنهم لما سمعوا منه ذلك و هم يرون أن الأصنام جمادات لا شعور لها ولا نطق تمت عند ذلك عليهم الحجة فقضى كل منهم على نفسه أنه هو الظالم دون إبراهيم فقوله: (فرجعوا إلى أنفسهم) استعارة بالكناية عن تنبههم وتفكرهم في أنفسهم، وقوله: (فقالوا إنكم أنتم الظالمون) أي قال كل لنفسه مخاطبا لها: إنك أنت الظالم حيث تعبد جمادا لا ينطق(٦).

---

(١) صحيح البخاري: ج٤، ص١٧١؛ وج٧، ص٧؛ صحيح مسلم: ج٧، ص٩٨؛ ومسند أحمد: ج٢، ص٤٠٣ ـ ٤٠٤.
(٢) جامع الترمذي: ج٤، ص٦٢٣؛ وج٥، ص٣٢١.
(٣) هامش قصص الأنبياء للنجّار: ص٨٦.
(٤) التفسير الكبير: ج٢٢، ص١٨٥؛ وج٢٦، ص١٤٨.
(٥) تفسير الأمثل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي: تفسير سورة الأنبياء.
(٦) الميزان في تفسير القرآن العلامة الطباطبائي: تفسير سورة الأنبياء.

الشورى العمرية : أسبابها ونتائجها على الأمة

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته الشقشقية: «حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِه جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ فَيَا لَلَّه وَلِلشُّورَى مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الأَوَّلِ مِنْهُمْ، حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِه النَّظَائِرِ لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا، وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا: فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِه وَمَالَ الآخَرُ لِصِهْرِه مَعَ هَنٍ وَهَنٍ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام في هذا القسم من خطبته إلى انتهاء عصر عمر ابن الخطاب، والأحداث التي مهدت السبيل أمام عثمان للاستيلاء على الخلافة بعد أن أماط اللثام عن التفاصيل التاريخية والأسرار التي إنطوت عليها هذه القضية ويعلن موقفه من ذلك، ثم عرج على المشاكل والفتن التي عاشتها الأمّة الإسلامية على عهد عثمان والانتفاضة الشعبية العارمة التي أدت إلى قتله بعبارات مقتضبة عميقة المعنى من خلال الكنايات والاستعارات والتشبيهات البلاغية الرائعة.

الهدف من جعل الإمام عليه السلام في الشورى

وفي قوله صلوات الله وسلامه عليه: «حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أني أحدهم» إشارة إلى معنيين محتملين:

الأول: أنّه جعلني ظاهرياً أحد أعضاء هذه الشورى بينما كان يعلم باطنياً بالنتيجة التي ستتمخض عنها ومن يفوز بالأمر.

الثاني: أنّه أراد أن يجعلني ظاهرياً في مصاف هؤلاء الخمسة، والحال كان يعلم باطنياً عدم إمكانية مقارنتي بأي منهم.

من هم أفراد الشورى؟

وهذا المقطع من الخطبة الشقشقية يشير إلى الزمان الذي جرح فيه عمر ابن الخطاب جرحاً بليغاً من قبل فيروز والمكنى بأبي لؤلؤة، فبعد أن رأى عمر بن الخطاب نفسه على فراش الموت، وبعد ان حضره جمع من الصحابة وأشاروا عليه باستخلاف من يرضاه، فما كان منه إلاّ أن اقترح جعل الأمر من بعده إلى جماعة ذكرهم بأسمائهم وأمرهم بان يتشاوروا ويختاروا احدهم، وأصحاب الشورى هم:

١: الإمام علي عليه السلام.

٢: وعثمان بن عفان.

٣: وعبد الرحمن بن عوف.

٤ و٥: وطلحة والزبير.

٦: وسعد بن أبي وقاص.

وأمرهم بان يجتمعوا لثلاثة أيام ويختاروا من بينهم الخليفة، فاجتمعوا وتمخضت نتيجة الاجتماع عن اختيار عثمان.

هل كانت الشورى حقيقية أم صورية؟

وأشار الإمام عليه السلام إلى هذه الشورى قائلا: «فيالله وللشورى» ثم يتطرق عليه السلام إلى أولى نقاط ضعف هذه الشورى وهي أنّه متى كان هناك من شك وترديد في أرجحيته على أبي بكر - الذي يعتقد المخالفون بأنه أفضل الرجال بعد رسول الله صلى الله عليه وآله – فضلا عن اقترانه بهذه النظائر من أمثال عثمان وغيره من أصحاب الشورى وهو معنى قوله عليه السلام: «متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أُقرن إلى هذه النظائر».

فالعبارة تكشف عن قمة أسى الإمام عليه السلام على هضم الحق الذي تعرض له، ويشير إلى حقيقة وهي أنّهم ينبغي أن يختاروني لو أخذوا بنظر الاعتبار استحقاق الخلافة والجدارة والأحقية بها.

غير أنّ المؤسف له أنّه كانت هناك أهداف أُخرى أدت إلى جعل من كان بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله وباب مدينة علمه والعالم بالكتاب والسنة والعارف بأسرار المسائل الإسلامية وبطل التوحيد الذي تربى في حجر النبي صلى الله عليه وآله في مصاف عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأمثالهما.

موقف الإمام عليه السلام من الشورى

ثم أضاف عليه السلام: «لكني أسففت إذ أسفوا وطرت إذ طاروا» في الواقع هذه كناية بشأن الطيور التي تطير على هيئة أسراب فتحلق أحيانا وتنخفض أخرى إلى الأرض وفي الحركتين تكون معاً.

ومن الواضح أنّ الأوضاع المزرية في ذلك الوقت كانت تتطلب الابتعاد عن كافة أشكال الفرقة والتشتت حذراً من إستغلالها من قبل خصوم الدعوة والتأهب للاجهاض عليها.

وهنالك إحتمال آخر أيضا بشأن تفسير هذه العبارة في أنّ مراده منها: أني أدور حيث مدار الحق والهدف خلفه، لكني طلبت الأمر وهو موسوم بالاصاغر منهم، كما طلبته أولاً وهو موسوم بأكابرهم، أي هو حقي فلا أستنكف من طلبه، إن كان المنازع فيه جليل القدر أو صغير المنزلة.

دوافع انتخاب عثمان وإقصاء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

ثم أشار عليه السلام إلى نتيجة تلك الشورى وأعمالها المريبة، حيث تحرك أحدهم واختار عثمان بدافع من حقده وضغينته على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، بينما إندفع الآخر بوحي من قرابته ونسبه لينتهي الأمر إلى عثمان: «فصغا رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره، مع هن وهن».

فقد قصد الإمام عليه السلام بالعبارة الأولى «سعد بن أبي وقاص» الذي كان ينتمي من طرف أمه إلى بني أمية وقد قتل أخواله وأقرباؤه على يد علي عليه السلام في المعارك الإسلامية ضد الكفر والشرك، ولذلك لم يكن مستعداً لمبايعة علي عليه السلام حتى في خلافته.

و عمر بن سعد ذلك المجرم الجبار الذي قتل الحسين عليه السلام وصحبه في كربلاء هو ابنه. وعليه فقد كانت ضغينته لعلي عليه السلام أشهر من نار على علم وهي التي جعلته لا يصوت لصالح الإمام عليه السلام، وهذا ما أدى إلى فوز عثمان بعد أن منحه رأيه بواسطة عبد الرحمن بن عوف.

وقال البعض المراد به «طلحة» المفروغ من كراهيته للإمام عليه السلام وهو الذي أشعل إلى جانب الزبير حرب الجمل التي أدت حسب قول المؤرخين إلى قتل سبعة عشر ألفاً.

و قد قوى هذا الاحتمال ابن أبي الحديد، بينما يرى بعض شرّاح نهج البلاغة أنّ طلحة وإن رشح للشورى من قبل عمر إلاّ أنّه لم يكن في المدينة ولم يحضر جلسة الشورى.

أمّا الفرد الذي مال إلى صهره فهو عبد الرحمن بن عوف زوج اُم كلثوم بنت عثمان.

وقوله عليه السلام: «مع هن وهن»، فقد كنى بها عن وقوع أعمال قبيحة يكره ذكرها.

ويمكن أن تكون العبارة إشارة إلى الأغراض الاُخرى التي كان يطمع بها عبد الرحمن بن عوف من خلال تصويته لصالح عثمان، من قبيل مد يديه إلى بيت مال المسلمين أو التسلط على الناس أو الاستيلاء على الخلافة بعد عثمان أو جميع هذه الاُمور.

فالذي نستفيده من هذا الكلام أنّ الشورى قد عقدت في أجواء متوترة، والشيء المغيب فيها إنّما كان المصالح الإسلامية، وعليه فمن الطبيعي ان لا تؤدي لضمان مصالح المسلمين، وقد أثبتت الحوادث التي وقعت على عهد عثمان مدى الخسائر الفادحة التي تكبدها المسلمون، من جراء هذه الشورى العمرية، وهو ما سنسلط الضوء حوله في العدد القادم ان شاء الله.

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى النتيجة النهائية للشورى فقال: «إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه». ولم يقتصر هذا الأمر على عثمان بل سار معه في هذا النهج قرابته وبطانته «و قام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الابل نبتة الربيع».

أمّا التعبير بنبتة الربيع للإشارة إلى أنّها نبتة سائغة وطعمة سهلة للحيوان فيتناولها بكل شره ووله. والعبارة «يخضمون مال الله...» . وبالالتفات إلى المعنى اللغوي لخضم . تفيد أنّ بني اُمية قد اقتحمت الميدان بكل ثقلها لتنهب بيت المال فتبتلع منه ما شاءت. وقال ابن أبي الحديد لقد سلط الخليفة الثالث . عثمان . بني امية على رقاب الناس وأغدق عليهم الأموال فقد أعطى عبد الله بن خالد أربعمئة ألف درهم، وأعطى عبدالله بن أبي سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح افريقية بالمغرب، وأعطى أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال،

واعطى الحارث بن الحكم . زوج بنت، عائشة . مائة ألف من بيت المال، واعطى طلحه ثلاثمئة واثنين وعشرين ألفاً، والزبير خمسمئة وثمانية وتسعين دينارا، حتى بلغ ما أغدقه من بيت المال مئة وستة وعشرين مليوناً وسبعمئة دينار.

و الأعجب من ذلك الدنانير التي أغدقها على بني أمية فقد منح مروان ابن الحكم خمسمئة الف دينار، ويعلى بن اُمية خمسمئة الف دينار، وعبد الرحمن بن عوف مليونين وخمسمئة وستين الف دينار والمجموع أربعة ملايين وثلاثمئة وعشرة دنانير. وهنا يتضح عمق المعنى لقوله عليه السلام: «يخضمون مال الله خضمة الابل نبتة الربيع». وبالطبع فان هذا الوضع لم يكن ليستمر لمدّة طويلة حيث لا يسع المسلمون تحمل مثل هذه الظروف ولذلك لم تمض مدّة حتى انطلقت تلك النهضة ضد عثمان لتطيح به في خاتمة المطاف وتقتله بمرأى ومسمع من الاُمّة دون أن يهب أحد من المسلمين لنصرته وهذا بعينه ما أشار إليه الإمام عليه السلام حين قال: «إلى أن انتكث عليه فتله وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته».

و الواقع أنّ الإمام عليه السلام رسم بثلاث عبارات صورة واضحة كاملة عن وضع الخليفة الثالث و انتهاء أمره وقتله. فقد صور في العبارة الاولى إزالته لكافة مظاهر القدسية والزهد التي عرفها عنه الناس ليقفوا على مدى تكالبه على الدنيا.

كما يصور في العبارة الثانية سوء أعماله التي وجهت له الضربة القاصمة، وأخيراً تخمته وامتلاء جوفه بالطعام بالشكل الذي لم يتمكن معه من الوقوف على قدميه حتى كب على وجهه على الأرض. فقد بين الإمام علي عليه السلام بهذه العبارات الدروس والعبر التي ينبغي أن يقتدي بها ساسة البلدان ويضعوها نصب أعينهم بحيث إذا إستغلوا مكانتهم وأقبلوا يتهافتون على الدنيا فانّ ذلك سيؤدي إلى زوال سوابقهم الحسنة بما يعبىء الرأي العام ضدهم وبالتالي الاطاحة بهم وبحكومتهم.

جدير بالذكر أنّ العوامل التي بلورت ظهور وانبثاق خلافة عثمان هي ذاتها التي أدّت إلى القضاء عليه، فقد دفع حب المال والثروة بعض الأفراد من قبيل سعد بن أبي وقاص وعبدالرحمن بن عوف وطلحة (بناءً على كونه حاضرا في الشورى) لأن يضموا أصواتهم لعثمان واختياره للخلافة، وهكذا إتسعت هذه المسألة واستفحلت حتى فقد عثمان مكانته لدى الرأي العام والذي أدى بالتالى إلى ثورة الاُمّة وإطاحتها به. أمّا بعض شرّاح نهج البلاغة فقد ذهبوا إلى أنّ المراد بقوله «إنتكث عليه فتله» انهيار الاجراءات والتدابير التي مارسها لتوطيد حكومته، ولعل تفويضه بعض الأعمال والمناصب لبطانته وقرابته قد كانت ضمن تلك الإجراءات المتخذة، لكن نفس هذا الأمر قد أعطى نتائج معكوسة أسهمت في تقويض حكومة عثمان.

عالم البرزخ والقبر وسؤال منكر ونكير

من ساعات الاحتضار والى مساءلة منكر ونكير

عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (إذا حيل بينه وبين الكلام أتاه رسول الله صلى الله عليه وآله ومن شاء الله فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله عن يمينه والآخر عن يساره فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله: أما ما كنت ترجو فهوذا أمامك وأما ما كنت تخاف منه فقد أمنت منه، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقول: هذا منـــزلك من الجنـــة فإن شئـــت رددناك إلى الدنيا ولـــك فيها ذهب وفضة، فيقول: لا حاجة لي في الدنيا فعند ذلك يبيض لونه ويرشح جبينه وتقلص شفتاه وتنتشر منخراه وتدمع عينه اليسرى فأي هذه العلامات رأيت فاكتف بها فإذا خرجت النفس من الجسد فيعرض عليها كما عرض عليه وهي في الجسد فتختار الآخرة فتغسله فيمن يغسله وتقلبه فيمن يقلبه فإذا أدرج في أكفانه ووضع على سريره خرجت روحه تمشي بين أيدي القوم قدما وتلقاه أرواح المؤمنين يسلمون عليه ويبشرونه بما أعد الله له جل ثناؤه من النعيم فإذا وضع في قبره رد إليه الروح إلى وركيه ثم يسأل عما يعلم فإذا جاء بما يعلم فتح له ذلك الباب الذي أراه رسول الله صلى الله عليه وآله فيدخل عليه من نورها وضوئها وبردها وطيب ريحها...).

صفة منكر ونكير وسؤالهما للميت

عن بشير الدهان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال يجيء الملكان منكر ونكير إلى الميت حين يدفن أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يخطان الأرض بأنيابهما ويطآن في شعورهما فيسألان الميت من ربك؟ وما دينك؟).

عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام قال: (يقال للمؤمن في قبره: من ربك؟ قال: فيقول: الله فيقال له: ما دينك؟ فيقول: الإسلام فيقال له: من نبيك؟ فيقول: محمد فيقال: من إمامك؟ فيقول: فلان فيقال: كيف علمت بذلك؟ فيقول: أمر هداني الله له وثبتني عليه، فيقال له: نم نومة لا حلم فيها، نومة العروس، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيدخل عليه من روحها وريحانها، فيقول: يا رب عجل قيام الساعة لعلي أرجع إلى أهلي ومالي، ويقال: للكافر: من ربك؟ فيقول: الله، فيقال: من نبيك؟ فيقول: محمد، فيقال: ما دينك؟ فيقول: الاسلام: فيقال من أين علمت ذلك؟ فيقول: سمعت الناس يقولون فقلته، فيضربانه بمرزبة لو اجتمع عليها الثقلان الإنس والجن لم يطيقوها، قال: فيذوب كما يذوب الرصاص ثم يعيدان فيه الروح فيوضع قلبه بين لوحين من نار، فيقول: يا رب أخر قيام الساعة).

من يسأل في قبره ومن لا يسأل

عن أبي بكر الحضرمي قال: (قلت لأبي جعفر عليه السلام أصلحك الله من المسؤولون في قبورهم، قال: من محض الإيمان ومن محض الكفر، قال: قلت: فبقية هذا الخلق؟ قال: يلهى والله عنهم ما يعبأ بهم، قال: قلت: وعم يسألون؟ قال: عن الحجة القائمة بين أظهركم، فيقال للمؤمن: ما تقول في فلان ابن فلان؟ فيقول: ذاك إمامي، فيقال: نم أنام الله عينك ويفتح له باب من الجنة فما يزال يتحفه من روحها إلى يوم القيامة ويقال للكافر: ما تقول في فلان ابن فلان؟ قال: فيقول: قد سمعت به وما أدري ما هو، فيقال له: لا دريت. قال: ويفتح له باب من النار فلا يزال يتحفه من حرها إلى يوم القيامة).

وقال الشيخ المفيد (في المسائل السرورية ص٦٣): (والكلام في عذاب القبر طريقه السمع دون العقل. وقد ورد عن أئمة الهدى عليهم السلام أنهم قالوا: ليس يعذب في القبر كل ميت، وإنما يعذب من جملتهم من محض الكفر، ولا ينعم كل ماض لسبيله، وإنما ينعم منهم من محض الإيمان محضا، فأما سوى هذين الصنفين فإنه يلهى عنهم. وكذلك روي أنه لا يسأل في قبره إلا هذان الصنفان خاصة. فعلى ما جاء به الأثر من ذلك يكون الحكم ما ذكرناه).

هل ينجو من ضغطة القبر أحد؟

عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيفلت من ضغطة القبر أحد؟ قال: فقال: نعوذ بالله منها ما أقل من يفلت من ضغطة القبر).

ولكن هذه الضغطة تختلف من شخص إلى آخر ومن مؤمن

إلى آخر، فالكافر اشد من المؤمن الفاسق، والمؤمن الفاسق اشد من المؤمن الملتزم بتعاليم الدين المؤدي لفروض الشريعة، قال الشيخ الصدوق في (الاعتقادات في دين الإمامية ص٥٨): (وأشد ما يكون عذاب القبر على المؤمن مثل اختلاج العين أو شرطة حجام، ويكون ذلك كفارة لما بقي عليه من الذنوب التي تكفرها الهموم والغموم والأمراض وشدة النزف عند الموت).

وقد ورد في بعض الروايات ان جمعاً من المؤمنين ينجون من هذه الضغطة،

عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام «...قلت: جعلت فداك فأين ضغطة القبر فقال: هيهات ما على المؤمنين منها شيء واللّه إن هذه الأرض لتفتخر على هذه، فتقول: وطأ على ظهري مؤمن ولم يطأ على ظهرك مؤمن، وتقول له الأرض: لقد كنت أحبك وأنت تمشي على ظهري فأما إذا وليتك فستعلم ما ذا أصنع بك، فتفسح له مد بصره»

أشياء توجب عذاب القبر وضغطته

١: من الأشياء التي توجب ضغطة القبر وعذابه سوء الخلق مع الأهل والزوجة والأطفال، عن الإمام الصادق عليه السلام: (...وإن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج في جنازة سعد وقد شيعه سبعون ألف ملك فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه إلى السماء ثم قال: مثل سعد يضم، قال قلت: جعلت فداك إنا نحدث أنه كان يستخف بالبول، فقال: معاذ الله إنما كان من زعارة في خلقه على أهله، قال: فقالت أم سعد: هنيئا لك يا سعد، قال: فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أم سعد لا تحتمي على الله).

٢: ومن أسباب عذاب القبر كما ورد في كثير من الروايات النميمة والغيبة وعدم التطهر والاحتماء من البول، وترك الرجل لزوجته فترة طويلة ومن دون عذر شرعي، فعن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال: (عذاب القبر يكون من النميمة، والبول، وعزب الرجل عن أهله). وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (ان جل عذاب القبر في البول).

٣: ومن أسباب ضغطة القبر تضييع النعم، فعن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ضغطة القبر للمؤمن كفارة لما كان منه من تضييع النعم).

أشياء تنجي من عذاب القبر وضغطته

١: ورد في الروايات الشريفة ان المداومة والاستمرار على قراءة سورة الملك تنجي الإنسان من عذاب القبر، فعن سدير الصيرفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (سورة الملك هي المانعة تمنع من عذاب القبر).

٢: وورد أيضا ان تلقين الميت بعد دفنه يقي الإنسان من سؤال منكر ونكير، عن يحيي بن عبد الله قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما على أهل الميت منكم أن يدرؤوا عن ميتهم لقاء منكر ونكير؟ قلت: كيف يصنع؟ قال: إذا أفرد الميت فليتخلف عنده أولى الناس به فيضع فمه عند رأسه ثم ينادي بأعلى صوته يا فلان بن فلان أو يا فلانة بنت فلان « هل أنت على العهد الذي فارقتنا عليه من شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله سيد النبيين وأن عليا أمير المؤمنين وسيد الوصيين وأن ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله حق وأن الموت حق وأن البعث حق وأن الله يبعث من في القبور » قال: فيقول منكر لنكير: انصرف بنا عن هذا فقد لقن حجته).

٣: وورد أيضا ان من حج أربع حجج كانت له أمان من ضغطة القبر وعذابه، عن منصور بن حازم قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عمن حج أربع حجج ماله من الثواب، قال: يا منصور من حج أربع حجج لم تصبه ضغطة القبر أبدا ، وإذا مات صور الله الحج الذي حج في صورة حسنة من أحسن ما يكون من الصور بين عينيه ، تصلي في جوف قبره حتى يبعثه الله من قبره ويكون ثواب تلك الصلاة له ، واعلم أن صلاة من تلك الصلاة تعدل ألف ركعة من صلاة الآدميين).

٤: وقراءة سورة النساء كل جمعة، وقراءة سورة يس قبل النوم تقي الإنسان من عذاب القبر وضغطته، فعن عمرو بن زر بن حبيش عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: من قرأ سورة النساء في كل جمعة أؤمن من ضغطة القبر). وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن يس ومن قرأها قبل أن ينام أو في نهاره قبل أن يمشي كان في نهاره من المحفوظين ... وان مات في يومه أدخله الله الجنة وحضر غسله ثلاثون ألف ملك كلهم يستغفرون له ويشيعونه إلى قبره بالاستغفار له فإذا دخل في لحده كانوا في جوف قبره يعبدون الله وثواب عبادتهم له وفسح له في قبره مد بصره وأومن ضغطة القبر ولم يزل له في قبره نور ساطع إلى عنان السماء إلى أن يخرجه الله من قبره).

الخوف من اللّه

الخوف إذا جاوز حده كان مذموماً

إعلم أن الخوف ممدوح إلى حد إذا جاوزه كان مذموما.

وبيان ذلك: إن الخوف سوط الله الذي يسوق به العباد إلى المواظبة على العلم والعمل، لينالوا بهما رتبة القرب إليه تعالى ولذة المحبة والأنس به، وكما أن السوط الذي تساق به البهيمة ويؤدّب به الصبي، له حد من الاعتدال، لو قصر عنه لم يكن نافعا في السوق والتأديب، ولو تجاوز عنه في المقدار أو الكيفية أو المبالغة في الضرب كان مذموما لأدائه إلى إهلاك الدابة والصبي.

فكذلك الخوف الذي هو سوط الله لسوق عباده له حد في الاعتدال والوسط وهو ما يوصل إلى المطلوب، فإن كان قاصرا عنه كان قليل الجدوى، وكان كقضيب ضعيف يضرب به دابة قوية، فلا يسوقها إلى المقصد.

ومثل هذا الخوف يجري مجرى رقة النساء عند سماع شيء محزن يورث فيهن البكاء، وبمجرد انقطاعه يرجعن إلى حالهن الأولى، أو مجرى خوف بعض الناس عند مشاهدة سبب هائل، وإذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب إلى الغفلة، فهذا خوف قاصر قليل الجدوى.

فالخوف الذي لا يؤثر في الجوارح بكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق أن يسمى خوفا، ولو كان مفرطا ربما جاوز إلى القنوط وهو ضلال: قال الله تبارك وتعالى: ((...وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ))(١).

أو إلى اليأس وهو كفر: ((...لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ))(٢).

ولا ريب في أن الخوف المجاوز إلى اليأس والقنوط يمنع من العمل، لرفعهما نشاط الخاطر الباعث على الفعل، وإيجابهما كسالة الأعضاء المانعة من العمل.

ومثل هذا الخوف محض الفساد والنقصان وعين القصور والخسران، ولا رجحان له في نظر العقل والشرع مطلقا، إذ كل خوف بالحقيقة نقص لكونه منشأ العجز، لأنه متعرض لمحذور لا يمكنه دفعه، وباعث الجهل لعدم اطلاعه على عاقبة أمره، إذ لو علم ذلك لم يكن خائفا لما مر من أن الخوف هو ما كان مشكوكا فيه، فبعض أفراد الخوف إنما يصير كمالا بالإضافة إلى نقص أعظم منه، وباعتبار رفعه المعاصي وإفضائه إلى ما يترتب عليه من الورع والتقوى والمجاهدة والذكر والعبادة وسائر الأسباب الموصلة إلى قرب الله وأنه، ولو لم يؤد إليها كان في نفسه نقصا لا كمالا، إذ الكمال في نفسه هو ما يجوز أن يوصف الله تعالى به، كالعلم والقدرة وأمثالهما، وما لا يجوز وصفه به ليس كمالا في ذاته، وربما صار محمودا بالإضافة إلى غيره وبالنظر إلى بعض فوائده، فما لا يفضي إلى فوائده المقصودة منه لإفراطه فهو مذموم، وربما أوجب الموت أو المرض أو فساد العقل، وهو كالضرب الذي يقتل الصبي أو يهلك الدابة أو يمرضها أو يكسر عضوا من أعضائها.

وإنما مدح صاحب الشرع الرجاء وكلف الناس به، ليعالج به صدمة الخوف المفرط المفضي إلى اليأس أو إلى أحد الأمور المذكورة.

فالخوف المحمود ما يفضي إلى العمل مع بقاء الحياة وصحة البدن وسلامة العقل، فإن تجاوز إلى إزالة شيء منها فهو مرض يجب علاجه، وكان بعض مشايخ العرفاء يقول للمرتاضين من مريديه الملازمين للجوع أياما كثيرة:

(احفظوا عقولكم، فإنه لم يكن الله تعالى ولي ناقص العقل).

وما قيل:

(إن مـن مات من خـوف الله تعالى مات شهيدا).

معناه إن موتـه بالخوف أفضل من موته في هـذا الوقت بدونـه، فهـو بالنسـبة إليه فضيلـة، لا بالنظر إلى تقديـر بقائه وطول عمره في طاعة الله وتحصيـل المعارف، إذ للمترقي في درجـات المعارف والطاعـات لـه في كل لحظـة ثـواب شـهيد أو شـهداء، فأفضل السـعادات طـول العمر في تحصيل العلـم والعمل، فكل ما يبطل العمر أو العقل والصحة فهو خسران ونقصان.

طرق تحصيل الخوف الممدوح

لتحصيل الخوف الممدوح وجلبه طرق:

(الأول) أن يجتهـد في تحصيـل اليقين: أي قوة الإيمان بالله، واليوم الآخر، والجنة، والنار، والحساب، والعقاب.

ولا ريب في كونه مهيجا للخوف من النار والرجاء للجنة.

ثـم الخوف والرجـاء يؤديان إلى الصبر علـى المكاره والمشـاق، وهـو إلى المجاهدة والتجـرد لذكر الله تعالـى والفكر فيه على الـدوام، ويقـوي دوام الذكـر علـى الأنـس، ودوام الفكـر علـى كمـال المعرفـة، ويـؤدي الأنـس وكمـال المعرفة إلى المحبـة، ويتبعها الرضا والتوكل وسـائر المقامـات، وهـذا هو الترتيب في سـلوك منازل الدين، فليس بعد أصـل اليقين مقام سـوى الخـوف والرجـاء، ولا بعدهـا مقام سوى الصبر، ولا بعده سوى المجاهـدة والتجـرد لله ظاهـرا وباطنا، ولا بعـده سـوى الهدايـة والمعرفـة، ولا بعدهما سوى الأنس والمحبة.

ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقـة بعنايتـه، وهـو التـوكل، فاليقين هو سبب الخوف، فيجب تحصيل السبب ليؤدي إلى المسبب.

(الثـاني) ملازمـة التفكـر في أحـوال القيامـة، وأصنـاف العـذاب في الآخـرة، واسـتماع المواعـظ المنـذرة، والنظـر إلى الخائفين ومجالسـتهم، ومشـاهـدة أحوالهم واسـتماع حكاياتهـم، وهـذا ممـا يسـتجلب الخـوف مـن عذابه تعالى، وهو خوف عموم الخلـق، وهو يحصـل بمجرد أصـل الإيمان بالجنـة والنار، وكونهما جزأين على الطاعة والمعصيـة، وإنمـا يضعـف للغفلـة أو ضعف الإيمـان، وتـزول الغفلة والضعـف بما ذكر، وأمـا الخـوف مـن اللـه بـأن يخـاف البعـد والحجـاب ويرجـو القـرب والوصـال، وهو خوف أربـاب القلوب، العارفـين من صفاته ما يقتضـي الخوف والهيبـة، المطلعين على سر قوله سبحانه:

((...وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ...)).[٣]

وقوله تعالى:

((...ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ...)).[٤]

فالعـلاج في تحصيلـه الارتقاء إلى ذروة المعرفـة، إذ هذا الخوف ثمـرة المعرفة بالله وبصفات جلاله وجماله، ومن لم يمكنه ذلك فلا يترك سمـاع الأخبار والآثار وملاحظة أحوال الخائفين من هيبته وجلاله، كالأنبياء والأوليـاء وزمـرة العرفاء، فإنـه لا يخلو عن تأثير.

(الثـالـث) أن يتأمـل في أن الوقـوف علـى كنه صفـات الله في حيز المحـال، وإن الإحاطة بكنه الأمور ليس في مقدرة البشر، إذ هـي مرتبطة بالمشـيئة ارتباطا يخرج عن حد المعقـول والمألوف، ومن عرف ذلك على التحقيـق يعلم أن الحكم على أمر من الأمور الآتية غير ممكن بالحدس والقياس، فضلا عـن القطع والتحقيـق، وحينئذ يعظم خوفه ويشـتد ألمـه، وإن كانـت الخيـرات كلهـا له ميسـرة ونفسـها عن الدنيا بالمـرة منقطعة، وإلـى الله بشراشـرها ملتفتـة، إذ خطـر الخاتمـة وعسـر الثبـات على الحـق مما لا يمكـن دفعه، وكيـف يحصـل الاطمئنان من تغـير الحال، وقلب المؤمـن بين إصبعين من أصابـع الرحمـن، وإنه أشـد تقلبا من القدر في غليانها، وقد قال مقلب القلوب:

((إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ)).[٥]

فأنـى للنـاس أن يطمئنوا وهـو يناديهم بالتحـذر، ولذا قال بعض العرفاء:

(لو حالت بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسـين سـنة أسـطوانة فمـا لم أقطـع له بالتوحيـد، لأنـي لا أدري مـا ظهـر لـه مـن التقلب).

الاطمئنان ضد الخوف

الاطمئنـان ضـد الخـوف المذمـوم وهو اطمئنـان القلب في الأمور المذكورة، ولا ريب في كونـه فضيلة وكمالا، إذ قوة القلب وعدم اضطرابه مما يحكم العقل بعدم الحذر عنه صفة كمال، ونقيضه نقص ورذيلة.

وأما الخوف الممـدوح، فضده الأمن من مكر الله، وهو من المهلكات وقد ورد به الذم في الآيات والأخبار، قال الله سبحانه:

((...فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ)).[٦]

وقـد ثبت بالتواتـر: أن الملائكة والأنبياء كانوا خائفين من مكره، كما روي:

(أنـه لما ظهر علـى إبليس ما ظهر، طفق جبرئيـل وميكائيـل يبكيـان، فأوحـى الله إليهمـا: مـا لكمـا تبكيان؟ فقـالا: يا رب! لا نأمن مكرك، فقال الله: هكذا كونا، لا تأمنا مكري).

وروي: (أن النبـي صلـى الله عليـه وآله وسـلم وجبرئيل بكيا مـن خوف الله تعالى، فأوحى الله إليهما: لم تبكيان وقد أمنتكما؟ فقالا: ومن يأمن مكرك؟).

وكأنهمـا لم يأمنا أن يكـون قولـه (قـد أمنتكمـا) ابتـلاء لهمـا وامتحانـا، حتى أن سـكن خوفهما ظهر أنهما قد أمنا المكر وما وفيا بقولهما، كما أن إبراهيم عليه السـلام لما وضع في المنجنيق قال:حسبي الله.

وكان هـذا القـول منـه مـن الدعـاوي العظيمـة، فامتحن وعـورض بجبرئيل عليه السـلام في الهـواء حتـى قال: ألـك حاجة؟ قال: أما إليك فلا.

وكان ذلـك وفـاء بمقتضـى قوله، فأخبر الله تعالى عنه وقال:

((وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ)).[٧]

وبالجملة ينبغي للمؤمن ألا يأمن من مكر ربه، كما لم يأمن منه الملائكة والأنبياء، وإذا لم يأمن منه كان خائفا منه دائما.[٨]

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٥٦.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٧.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.
(٥) سورة المعارج، الآية: ٢٨.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٩٩.
(٧) سورة النجم، الآية: ٣٧.
(٨) جامع السعادات للمحقق النراقي: ج١، ص١٥٨ ـ ١٦٧.

العدالة الالهية

العدل: ورد في (لسان العرب): العَدْل: ما قام في النفوس أنّه مستقيم، وهو ضدّ الجور.

والعدل في أسماء اللّه تعالى يعني الحكم بالحق، والعدل في الناس يعني المرضي قوله وحُكمه(١).

و(العَدْل) من أسماء اللّه تعالى، وهو مصدر أُقيم مقام الاسم، والمقصود منه المبالغة في وصفه تعالى بأنّه عادل، أي: كثير العدل(٢).

العدل يعني تنزيه اللّه تعالى عن فعل القبيح والإخلال بالواجب(٣).

وأمّا التنزيه يعني البُعد، ويُقال: اللّه منزّه عن القبيح، أي: بعيد عنه(٤).

الفعل القبيح هو الفعل الذي يستحق فاعله الذم، ويستحق تاركه المدح وأما الفعل الواجب هو الفعل الذي يستحق فاعله المدح, ويستحق تاركه الذم والوجوب على الله لا يعني أنّه تعالى محكوم بأوامر غيره، بل يعني أنّنا نكتشف عن طريق التدبّر في صفاته تعالى أنّه حكيم، وتقتضي حكمته أن يفعل كذا، لأنّ عدم فعله له يؤدّي إلى الإخلال بحكمته (وكذلك قاعدة اللطف)(٥).

فالآيات القرآنية المتضمّنة لمعنى الوجوب على اللّه تعالى هي كالآتي:

قال الله تبارك وتعالى في سورة الأنعام:

((...كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ...)).

أي: أوجب اللّه تعالى على نفسه الرحمة.

وقال عزّ وجل في سورة النحل:

((وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ...)).

أي: يجب على اللّه تعالى بيان الطريق المستقيم للعباد.

وقال تعالى في سورة الليل:

((إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ)).

أي: يجب علينا بمقتضى العدل أن نهدي العباد إلى الحقّ ببعث الرسل ونصب الدلائل.

وجاء في القرآن الكريم في سورة النجم:

((وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ)).

أي: يجب على اللّه تعالى أن يجعل داراً أُخرى إضافة إلى دار الدنيا ليقع فيها الجزاء والانتصاف.

عقيدتنا في العدل

ونعتقد أن من صفاته تعالى الثبوتية الكمالية أنه عادل غير ظالم، فلا يجوز في قضائه ولا يحيف في حكمه، يثيب المطيعين، وله أن يجازي العاصين، ولا يكلف عباده ما لا يطيقون ولا يعاقبهم زيادة على ما يستحقون.

ونعتقد أنه سبحانه لا يترك الحسن عند عدم المزاحمة ولا يفعل القبيح، لأنه تعالى قادر على فعل الحسن وترك القبيح مع فرض علمه بحسن الحسن وقبح القبيح وغناه عن ترك الحسن وعن فعل القبيح، فلا الحسن يتضرر بفعله حتى يحتاج إلى تركه، ولا القبيح يفتقر إليه حتى يفعله.

وهو مع كل ذلك حكيم لا بد أن يكون فعله مطابقا للحكمة وعلى حسب النظام الأكمل.

فلو كان يفعل الظلم والقبح ـ تعالى عن ذلك ـ فإن الأمر في ذلك لا يخلو عن أربع صور:

١. أن يكون جاهلا بالأمر فلا يدري أنه قبيح.

٢. أن يكون عالما به ولكنه مجبور على فعله وعاجز عن تركه.

٣. أن يكون عالما به وغير مجبور عليه ولكنه محتاج إلى فعله.

٤. أن يكون عالما به وغير مجبور عليه ولا يحتاج إليه فينحصر في أن يكون فعله له تشهيا وعبثا ولهوا.

وكل هذه الصور محال على الله تعالى وتستلزم النقص فيه وهو محض الكمال، فيجب أن نحكم أنه منزه عن الظلم وفعل ما هو قبيح.

غير أن بعض المسلمين جوز عليه تعالى فعل القبيح تقدست أسماؤه، فجوز أن يعاقب المطيعين ويدخل الجنة العاصين بل الكافرين، وجوز أن يكلف العباد فوق طاقتهم وما لا يقدرون عليه ومع ذلك يعاقبهم على تركه، وجوز أن يصدر منه الظلم والجور والكذب والخداع وأن يفعل الفعل بلا حكمة وغرض ولا مصلحة وفائدة وبحجة أنه لا يسأل عما يفعل وهو يسألون.

فرب أمثال هؤلاء الذين صوروه على عقيدتهم الفاسدة، ظالم جائر سفيه لاعب كاذب مخادع يفعل القبيح ويترك الحسن الجميل ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـ، وهذا هو الكفر بعينه، وقد قال الله تعالى في محكم كتابه في سورة غافر:

((...وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ)).

وقال سبحانه وتعالى في سورة البقرة:

((...وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ)).

وقال الباري عزّ وجل في سورة الأنبياء:

((وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ)).

وقال تعالى في سورة :

((وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)).

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة، سبحانك ما خلقت هذا باطلا(٦).

ذهب قوم وهم (المجبرة) إلى أنه تعالى هو الفاعل لأفعال المخلوقين فيكون قد أجبر الناس على فعل المعاصي وهو مع ذلك يعذبهم عليها، وأجبرهم على فعل الطاعات ومع ذلك يثيبهم عليها، لأنهم يقولون إن أفعالهم في الحقيقة أفعاله وإنما تنسب إليهم على سبيل التجوز لأنهم محلها، ومرجع ذلك إلى إنكار السببية الطبيعية بين الأشياء وأنه تعالى هو السبب الحقيقي لا سبب سواه.

وقد أنكروا السببية الطبيعية بين الأشياء إذ ظنوا أن ذلك هو مقتضى كونه تعالى هو الخالق الذي لا شريك له، ومن يقول بهذه المقالة فقد نسب الظلم إليه تعالى عن ذلك.

وذهب قوم آخرون وهم (المفوضة) إلى أنه تعالى فوض الأفعال إلى المخلوقين ورفع قدرته وقضاءه وتقديره عنها، باعتبار أن نسبة الأفعال إليه تعالى تستلزم نسبة النقص إليه، وإن للموجودات أسبابها الخاصة وإن انتهت كلها إلى مسبب الأسباب والسبب الأول، وهو الله تعالى، ومن يقول بهذه المقالة فقد أخرج الله تعالى من سلطانه، وأشرك غيره معه في الخلق.

واعتقادنا في ذلك تبع لما جاء عن أئمتنا الأطهار عليهم السلام من الأمر بين الأمرين، والطريق الوسط بين القولين، الذي كان يعجز عن فهمه أمثال أولئك المجادلين من أهل الكلام، ففرط منهم قوم وأفرط آخرون، ولم يكتشفه العلم والفلسفة إلا بعد عدة قرون.

وليس من الغريب ممن لم يطلع على حكمة الأئمة عليهم السلام وأقوالهم أن يحسب أن هذا القول، وهو الأمر بين الأمرين، من مكتشفات بعض فلاسفة الغرب المتأخرين، وقد سبقه إليه أئمتنا قبل عشرة قرون.

فقد قال إمامنا الصادق عليه السلام لبيان الطريق الوسط كلمته المشهورة:

«لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين».

ما أجل هذا المغزى وما أدق معناه!!

فإن أفعالنا من جهة هي أفعالنا حقيقة ونحن أسبابها الطبيعية، وهي تحت قدرتنا واختيارنا ومن جهة أخرى هي مقدورة لله تعالى وداخلة في سلطانه لأنه هو مفيض الوجود ومعطيه، فلم يجبرنا على أفعالنا حتى يكون قد ظلمنا في عقابنا على المعاصي لأن لنا القدرة والاختيار فيما نفعل، ولم يفوض إلينا خلق أفعالنا حتى يكون قد أخرجها عن سلطانه، بل له الخلق والحكم والأمر، وهو قادر على كل شيء ومحيط بالعباد(٧).

نفي الظلم عن الله تعالى في القرآن الكريم

قال الله تعالى في سورة آل عمران:

((شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ...)).

وقال عزّ وجل في سورة الأنبياء:

((وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ...)).

وقال تعالى في سورة يونس:

((إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)).

وقال عزّ وجل في سورة التوبة:

((...فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)).

وقال تعالى في سورة النحل:

((...وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)).

وجاء في سورة النساء:

((إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ...)).

وقال الله تبارك وتعالى في سورة الكهف:

((...وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)).

وقال تعالى في سورة الأنفال:

((...وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ)).

وقال الله في القرآن الكريم في سورة فصلت:

((...وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ)).

وقال الله تعالى في سورة آل عمران:

((...وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ)).

وقال عزّ وجل في سورة الزخرف:

((وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ)).

وجاء في القرآن الكريم في سورة النحل أيضا:

((...وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)).

---

(١) لسان العرب، ابن منظور: مادة (عدل).

(٢) مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي: ج٣، ص١٣٣.

(٣) النكت الاعتقادية للشيخ المفيد: الفصل الثاني، ص٣٢؛ وأيضا ذكر في نهج الحقّ للعلاّمة الحلّي: المسألة الثالثة، مبحث أنّ الله تعالى لا يفعل القبيح، ص٨٥.

(٤) لسان العرب لابن منظور: مادة (نزه).

(٥) تلخيص المحصّل لنصير الدين الطوسي: الركن الثالث، ق٣، ص٣٤٢.

(٦) عقائد الامامية للشيخ المظفر: عقيدتنا في العدل.

(٧) عقائد الامامية للشيخ المظفر: عقيدتنا في القضاء والقدر.

السيد محمد حسن ابن السيد محمود الحسيني الشيرازي المجدد المعروف بالشيرازي الكبير (قدس سره)

اسمه ونشأته

السيّد محمّد حسن ابن السيّد محمود الحسيني الشيرازي المعروف بالشيرازي الكبير.

وُلد في الخامس عشر من جمادى الأُولى ١٢٣٠ هـ بمدينة شيراز في إيران.

عندما بلغ عمره أربع سنوات وبسبب حدّة ذكائه أرسله خاله إلى معلّم خاصّ لتعلّم القراءة والكتابة، وبعد أن تعلّمهما تعلّم العلوم العربية، وأكمل مرحلة المقدّمات وعمره ما يزال ثماني سنوات، فبلغ عمره اثني عشر عاماً بدأ يحضر دروساً في الفقه والأصول.

ثمّ سافر إلى أصفهان عام ١٢٤٨ هـ، ودخل مدرسة الصدر للعلوم الدينية، فشرع بكلّ جدّ ومثابرة في دراسة العلوم العقلية والنقلية، وقد حضر درس علامة اصفهان الشيخ محمد تقي الأصفهاني صاحب (الحاشية على المعالم)، وجد الأسرة المعروفة بمسجد شاهي، واستمر في تلقي العلم عنده حتى وفاة الشيخ الأصفهاني، ثم اختص بالعلامة الجليل السيد حسن البيدآبادي الشهيرالمدرس واستفاد من بحثه حتى ظهرت مقدرته العلمية، وأجازه إجازة وافية.

ثم حضر بحث المحقق الشيخ محمد إبراهيم الكرباسي ـ جد الأسرة الكرباسية ـ واستفاد من علمه الغزير حتى أصبح ممن يشار إليه بالبنان، بعد ذلك استقل بالتدريس وعد من أفاضل أصفهان وتخرج من حوزة درسه جماعة من الأفاضل.

هجرته

بقي السيد المجدد في أصفهان حوالي عشر سنوات، ثمّ سافر إلى كربلاء المقدّسة عام ١٢٥٩ هـ لإكمال دراسته الحوزوية، ثمّ بعد ذلك بفترة قصيرة سافر إلى النجف الأشرف لإكمال دراسته الحوزوية العليا فحضر بحث الفقيهين الشهيرين: الشيخ حسن كاشف الغطاء صاحب (أنوار الفقاهة)، والشيخ محمد حسن صاحب (جواهر الكلام في شرح شرايع الإسلام).

بعد أن وافى أستاذيه الأجل اختص ببحث الشيخ الأعظم الأنصاري، ولازمه ملازمة الظل، والشيخ بدوره رعاه رعاية خاصة، واعتنى به عناية عظيمة بعد ان ترسم فيه النبوغ، فكان الشيخ يفضِّله على طلبته، ويصرح باجتهاده، وسمو فكره، واستمر إلى رحيل الشيخ الأعظم الأنصاري عام ١٢٨١هـ، وبعد تسلمه زمام المرجعية العليا عام ١٢٨٨هـ تشرف بزيارة البيت الحرام لأداء فريضة الحج في أحسن حال فنوى أن يقيم في المدينة المنورة مجاور قبر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله فلم يتم له ذلك، ثم حاول أن يجاور قبر الإمام الرضا عليه السلام في مشهد المقدسة فلم تتيسر له الأمور، فذهب إلى كربلاء المقدسة ثم سامراء المشرفة عام ١٢٩١هـ قصد زيارة

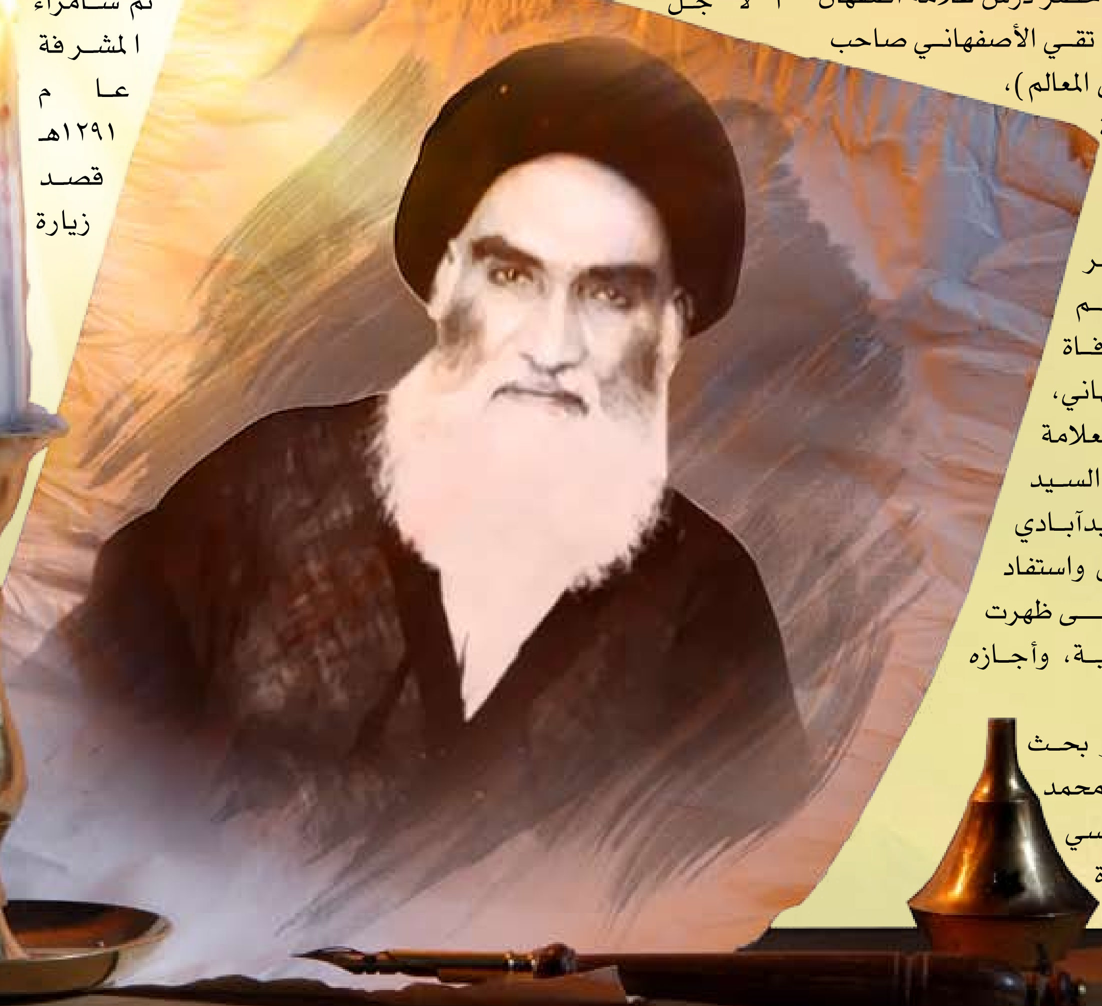

سيد الشهداء عليه السلام لأداء مراسم زيارة النصف من شعبان المعظم وبعد ذلك قصد مدينة سامراء المشرفة لزيارة الإمامين الهمامين الهادي والعسكري عليهما السلام، فدخل مدينة سامراء آخر شهر شعبان المعظم ١٢٩١هـ فنوى الإقامة فيها عشرة أيام ليصوم شهر رمضان المبارك ويتشرف بزيارة الحرم المطهر في الليل، لئلا يخلو الحرم في الشهر الفضيل ليلاً من الزائرين حيث كان الحرم يغلق بعد فريضة العشاء إذا لم يتشرف بالزيارة أمثال سيدنا المترجم. مضى شهر رمضان المبارك والسيد المجدد في سامراء وتلامذته ينتظرون مقدمه الشريف وهم جاهلون عن حقيقة الحال، انصرمت الأيام والليالي والسيد في سامراء المشرفة إلى أن طال الأمد فكتب إليه بعض طلبته من الخواص يستفسر عن سبب تأخره عند ذلك أبدى لهم رأيه وأخبرهم بعزمه على السكنى في سامراء. وعلى اثر ذلك التحق به خواص أصحابه، والمبرزون من تلامذته: كالعلامة النوري والمولى فتح الله والشيخ فضل الله النوري - شهيد ثورة المشروطة في إيران على يد يفرم خان الأرمني -.

وبعد ان انتشر الخبر أخذ طلبة العلم في حوزة النجف الأشرف وأعلامها بالسفر إلى سامراء وبلغ عدد المهاجرين إليها بالآلاف فأصبحت سامراء بعد إن كانت قرية صغيرة وقرية تابعة إلى قضاء الدُجيل عاصمة علمية كبيرة من اكبر العواصم العلمية الشيعية، ومن أعظم المعاهد الدراسية بفضل هذا الزعيم الديني، وصارت مكتظة برجال الدين ونوابغ العلماء كالسيد حسن الصدر، والسيد إسماعيل الصدر، والسيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي، والسيد محمد الأصفهاني، والسيد ميرزا إسماعيل الشيرازي – ابن عم السيد المترجم –، والمحقق الخراساني، والحاج محمد حسن كبة، وأضراب هؤلاء الأعلام الذي ملأوا الآفاق علما وآثارا.

من صفاته وأخلاقه

١. ذكاؤه: كان السيّد يتمتّع بذاكرة قوية وعجيبة، ويُنقل عنه أنّه كان يحفظ أكثر القرآن الكريم، وأدعية الأيّام، وزيارات المشاهد المقدّسة، ولم يُنقل عنه أنّه عندما كان يذهب للزيارة يصطحب معه كتاباً أو أيّ شيء آخر من كتب الزيارة.

٢. هيبته ووقاره: يقول أحد أصدقائه: (قضيت مع السيّد مدّة طويلة نتباحث سويّة في الدروس، إلاّ أنّه لم تكن لديّ الجرأة الكافية على النظر إلى وجهه، وعندما كنت أُريد الدخول عليه كنت أحسّ بأنّ قلبي يأخذ بالاضطراب، بالرغم من أنّه كان بشوشاً وسمحاً ولطيفاً).

٣. مساعدته للمحتاجين: خصّص السيّد جزءاً من الأموال الشرعية لمساعدة المحتاجين والفقراء، وكان وكلاؤه يقومون بإيصال تلك المساعدات إلى أُولئك المستحقّين عن طريق قوائم أُعدّت مسبقاً بأسمائهم.

٤. احترامه للضيف: كان السيّد يُبالغ في احترام ضيوفه، والمعروف عنه أنّه كان يتناول يومياً وجبة طعام واحدة، بينما نجده في الحالات التي يزوره فيها أحد أصدقائه ويبقى عنده يقوم بتناول ثلاث وجبات معه إكراماً واحتراماً.

٥. احترامه للعلماء والطلاّب: كان السيّد يُعامل العلماء وطلاّب الحوزة العلمية معاملة الأب الرحيم، ولا يغفل عن متابعة أُمورهم، ويقابلهم بمُنتهى الأدب والاحترام، حتّى لو كانوا حديثي عهد بالدراسة، فهو يسمع أقوالهم وشكاواهم، ويقوم برفع احتياجاتهم، وهكذا كان حتّى مع الناس العاديين، فضلاً عن أفراد عائلته.

من مشاريعه

أولاً: جعل مدينة سامرّاء المقدّسة مدينة آمنة، بعد أن كان أغلب سكّان المدينة وضواحيها ـ قبل مجيء السيّد الشيرازي ـ يعيشون على السلب والنهب والفساد، بحيث أنّ الزوّار الذين كانوا يأتون لزيارة العتبات المقدّسة الموجودة فيها لم يكونوا يشعرون بالأمن والاستقرار، ممّا لم يكن يشجّع الزوّار بالعودة إليها مرّة أُخرى.

وكانت هذه الأُمور من الأسباب الرئيسية التي دفعته للسفر إليها، واتّخاذها محلاّ دائماً لإقامته إلى آخر لحظات عمره الشريف، وقد ظلّت سامرّاء المقدّسة مركزاً علمياً لتحصيل العلوم الإسلامية، ومحلاّ لتجمّع العلماء حتّى وفاته.

ثانياً: بنى مدرستين لطلبة العلوم الدينية في سامرّاء المقدّسة، وتُعتبر من أكبر المدارس العلمية الشيعية في العراق، وظلّتا قائمتين تحكيان قصّة العصر الذهبي للفكر الشيعي إلى أن جاء النظام العراقي البائد ـ النظام العفلقي الصدامي ـ وقام بتخريبهما تعبيراً عن حقده الدفين للإسلام وعلمائه.

ثالثاً: بنى جسراً في سامرّاء المقدّسة؛ وذلك لتسهيل وفود الزائرين والمسافرين إليها، بعدما كان الناس يستخدمون الزوارق للعبور إلى المدينة.

رابعاً: أمر بإعادة ترميم بناء المرقدين الشريفين للإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام، وبنى إلى جانبهما حسينية وسوقاً كبيراً، مع حمّامين لخدمة الزوّار القادمين إلى المدينة.

من مؤلفاته رحمه الله

منهج النجاة، زاد المتّقين، حاشية على سراج العباد، رسالة في المشتق، تقريرات بحثه، رسالة في اجتماع الأمر والنهي، رسالة في الرضاع، كتاب في المكاسب، كتاب الطهارة، زبدة المسائل.

أقوال العلماء فيه

قال السيد محمد كلانتر محقق كتاب المكاسب ج١، ص١٤٠: (ولم أبالغ لو قلت: إنه لم يأت لحد التاريخ في رجالات الشيعة الإمامية من رجال الدين، والذين تصدوا لهذا المنصب الخطر الخطير، مع تلك الظروف الحرجة التي عاش فيها السيد المجدد الشيرازي من يضاهي هذا الزعيم المحنك الخبير البصير).

وفاته ومدفنه الشريف

لبى السيد المجدد الشيرازي قدس سره نداء ربه الكريم يوم الرابع والعشرين من شهر شعبان المعظم عام ١٣١٢ هـ بمدينة سامرّاء المشرفة، وهي نهاية حياته المشرفة التي قضاها في سبيل إعلاء كلمة الدين فرضوان الله تعالى عليه.

كان لوفاته رنة حزن وأسى عميق في نفوس المسلمين عامة، والطائفة الشيعية الامامية خاصة، وقد شيع جثمانه الشريف حملاً على الرؤوس والأعناق من سامراء إلى مثواه الأخير في النجف الأشرف ودفن في مقبرته الخاصة بجنب باب الصحن الشريف ـ باب الطوسي ـ على يمين الخارج من الصحن الشريف.

المصدر: موقع المجدد الشيرازي.

خاتم العقيق وما نقش عليه

قال السيد الرضي في المناقب الفاخرة:حدث الشيخ الواعظ أبو المجد بن رشادة، قال: حدثني شيخي الغزالي، قال:

لما انتهى إلى النجاشي ملك الحبشة بخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه: إني لمختبر هذا الرجل بهدايا أنفذها إليه، فأعد تحفا فيها فصوص ياقوت وعقيق.

فلما وصلت الهدايا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قسمه على أصحابه ولم يأخذ لنفسه سوى فص عقيق أحمر، فأعطاه لعلي عليه السلام وقال له:

«امض إلى النقاش واكتب عليه ما أحب سطرا واحدا: (لا إله إلا الله).

فمضى أمير المؤمنين وأعطاه النقاش، وقال له:

«اكتب عليه ما يحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لا إله إلا الله)، وما أحب أنا (محمد رسول الله) سطرين».

فلما جاء بالفص إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجده وإذا عليه ثلاثة أسطر، فقال لعلي عليه السلام:

«أمرتك أن تكتب عليه سطرا واحدا كتبت عليه ثلاثة أسطر.

فقال علي عليه السلام:

«وحقك يا رسول الله ما أمرت أن يكتب عليه إلا ما أحببت وما أحب أنا (محمد رسول الله) سطرين».

فهبط جبرئيل عليه السلام وقال:

«يا محمد رب العزة يقرئك السلام، ويقول لك: أنت أمرت بما أحببت، وعلي أمر بما أحب، وأنا كتبت ما أحب علي ولي الله».

سيف علي عليه السلام أثقل من مدائن لوط على يد جبرئيل عليه السلام

قال البرسي: وفي ذلك اليوم لما شطر مرحب شطرين وألقاه مجدلا جاء جبرئيل من السماء متعجبا، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«مم تعجبت؟».

فقال:

«إن الملائكة تنادي في صوامع وجوامع السماوات: (لا فتى إلا علي لا سيف إلا ذو الفقار)، وأما إعجابي فإني لما أمرت أن أدمر قوم لوط حملت مدائنهم وهي سبع مدائن من الأرض السابعة السفلى إلى الأرض السابعة العليا، على ريشة من جناحي، ورفعتها حتى سمعت حملة العرش صياح ديكتهم وبكاء أطفالهم، ووقفت بها إلى الصبح أنتظر الأمر ولم أتثقل بها، واليوم لما ضرب علي ضربته الهاشمية وكبر أمرت أن أقبض فاضل سيفه حتى لا يشق الأرض وتصل إلى الثور الحامل لها فيشطره شطرين فتنقلب الأرض بأهلها (فتلقيته)، فكان فاضل سيفه عليّ أثقل من مدائن لوط، هذا وإسرافيل وميكائيل قد قبضا عضده في الهواء».

المصدر: مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني: ج١، ص٤٢٥ ـ ٤٢٧.

شرح الصحيفة السجادية

الحلقة السابعة عشرة

الدعاء الأول

(...وَالْحَمْدُ لله عَلَى مَا عَرَّفَنَا مِنْ نَفْسِه،.....).

تطلق النفس على الذات وعلى الغيب وعلى الدم وعلى الروح الحَيَوانية، والأخيران يختصان لبعض من خلقه تعالى كالإنسان وبعض الدواب، أما المراد في إطلاق لفظ (النفس) في حقه تعالى هو ذاته المقدسة والإلهام: ما يلقى في الروع، وأبواب العلم: وجوهه وطرقه والعلم: الاعتقاد الثابت المطلق للواقع، شكراً لله أن أنعم علينا وعرّفنا قدرته وعظيم سلطانه وأرشدنا إلى تلمس براهينه وآثار بديع صنعه وآياته في خلقه.

وقذف في قلوبنا المكوث والثبات الدائم على حمده وثنائه وفتح أبصارنا ونوّر بصيرتنا بالإقرار بالوحدانية والتسلح بالإيمان والتزود بالرشاد والسداد ومعرفة أبواب الهداية، قال تعالى:

((سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ...)).[١]

وقيل (والحمد لله على ما عرفنا من نفسه) أي: الحمد لله على نعمة العطاء معرفة ذاته بصفاته إيّانا لا بكنهه، لأنه تعالى واحد لا كالآحاد ولا يدرك من جهة العقل ولا من جهة النفس، فلا الفكر العقليّ يدركه، ولا المنطق النفسيّ يصفه، فهو فوق الصّفات الروحانية، غير مدرك من نحو ذاته، وإنما يدرك من آثاره وصنائعه وأفعاله، فكلّ عالم من العوالم يدركه بقدر الآثار التي تظهر فيه فينعته ويصفه بذلك القدر الذي خصه من صنعه.[٢]

وقيل: (على ما عرفنا من نفسه) أي على الذي عرفناه، ومن إما للابتداء، أو للبيان، أو البعضية، فإن ماعرفناه جزء مما لم يعرّفناه، وهذا التعريف إما بواسطة الرسل، أو بإقامة الدلائل في الآفاق والأنفس، أو بواسطة العقول، أو بخلقه لهم على فطرة التوحيد فإن من عرف نفسه فقد عرف ربه، ولمعرفته تعالى مراتب شتى أشار إلى بعضها المحقق الطوسي حيث قال: مراتب معرفة الله تعالى مثل مراتب معرفة النار مثلاً، فإن أدناها من سمع أن في الوجود شيئاً يعدم كل شيء يلاقيه، ويظهر أثره في كل شيء يحاذيه، وأي شيء أخذ منه لم ينقص منه شيء، ويسمى ذلك الموجود ناراً، ونظير هذه المعرفة في معرفة الله معرفة المقلدين الذين صدّقوا بالدين من غير وقوف على الحجة، وأعلى منها مرتبة من وصل إليه دخان النار وعلم أنه لابد له من مؤثر، فحكم بذات لها أثر هو الدخان، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة أهل النظر والاستدلال، الذين حكموا بالبراهين القاطعة على وجود الصانع، وأعلى مرتبة مرتبة من أحس بحرارة النار بسبب مجاورتها، وشاهد الموجودات بنورها، وانتفع بذلك الأثر، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة المؤمنين الخلّص، الذين اطمأنت قلوبهم بالله، وتيقنوا أن الله نور السماوات والأرض كما وصف به نفسه، وأعلى منها مرتبة مرتبة من احترق بالنار بكليته، وتلاشى فيها بجملته، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة أهل الشهود والفناء في الله، وهي الدرجة العليا، والمرتبة القصوى، رزقنا الله الوصول إليها والوقوف عليها بمنه وكرمه.

(وألهمنا من شكره) ي الذي هو شكره، أو من بعض شكره، والشكر في اللغة فعل ينبئ عن تعظيم المنعم، ومورده الثلاثة، وفي الاصطلاح صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه إلى ما خلق لأجله، كصرف النظر إلى مطالعة مصنوعاته والسمع إلى تلقي ما ينبئ عن مرضاته.[٣]

(والحمد لله على ما عرفنا من نفسه) أي: إذا ما نعرفه من جهاته سبحانه - ولو كانت معرفة ناقصة لا تصل الكنه - ليس إلا بسبب تعريفه سبحانه وتعليمه لنا، والمراد بنفسه تعالى وجوده، وعظمته في ذاته، وصفاته.

وكما قال الشاعر:

أحمدُ اللهَ من إله كريم
عرَّف الخلقَ نفسَه بجلاء[٤]

---

(١) بحوث في الصحيفة السجادية للشيخ صالح الطائي: ص١٢.

(٢) رياض العارفين لمحمد دارابي: ص٢٧ - ٢٨.

(٣) نور الأنوار في شرح الصحيفة السجادية للسيد نعمة الله الجزائري: ص٣٤ - ٣٥.

(٤) الصحيفة السجادية بنظم شاعر أهل البيت الشيخ عبد المنعم الفرطوسي: ص٢٢.

مراقبــــة الأطفـــــال من مسؤولية الأسرة

الطفل يجب أن يغدو إنساناً مستقلاً

يميل الطفل في الفترة الواقعة ما بين سن السادسة والثانية عشرة إلى الاستقلال عن أبويه، ولكن يجب ألا نظن بأن رغبة الطفل في الاستقلال هي استقالة يقدمها من عالم رقابة الأسرة. فالطفل يحتاج إلى من يقول له لا باستمرار عند الخطأ.. شريطة أن تقال بأسلوب الود والحب والحنان والحزم.

إذ إنه عندما يتم الطفل عامه السادس يحاول أن يتعرف إلى ما هو خارج نطاق الأسرة ويرتبط بصداقات مع من هم في مثل عمره، ويستمد منهم تقاليده الخاصة.. ويحاول أن يؤكد استقلاله عن الأسرة. كما أنه يرغب في اكتساب المهارات العلمية والعملية والفنية، التي تؤكد له أنه فرد مستقل قادر على الحياة في المجتمع، ولذلك نجده يميل إلى ترتيب ما يخصه، ونجده صارماً في تطبيق القواعد الاجتماعية، وصاحب ضمير متزمت في بعض الأحيان، ولذلك تبدأ متاعب جديدة مع الطفل لأن التعامل معه في هذه الفترة ليس بالعملية السهلة. فكم تعاني الأسرة من محاولات الطفل ليغدو إنساناً مستقلاً.. إنه يحاول أن يؤكد باستمرار أنه قادر بمفرده على التمييز بين ما هو صحيح وما هو خاطئ. وهو يحاول دائماً أن ينال إعجاب المجتمع وحبه.. لقد أصبح في سن الدراسة، وازداد عدد أصدقائه، وأصبح أكثر معرفة بأبناء الحي وأبناء الجيران، ومن هذا المجتمع يختار الطفل ألوان السلوك التي يفضلها ويبدو ضميره في هذه الفترة صارما للغاية، إنها فترة تكون غاية في الحيوية بالنسبة لضمير الطفل رغم أن الآباء والأمهات لا يشعرون بذلك.

الدور الاجتماعي الجديد للطفل

ويبدأ الطفل بالتمرد على أوامر الأسرة ويفتح باب النقاش على مصراعيه في مسائل بسيطة جداً، كالنظافة والقيام بالواجب المدرسي في مواعيد محددة وحسن التصرف مع الآخرين.. والحقيقة أن الطفل في عمره ما بين السادسة والثانية عشرة يبذل جهداً خارقاً مع نفسه ليراقب نفسه بنوع من الحزم. إنه يحاول أن ينجح بدوره الاجتماعي وأن يتعلم كيف يحترم الآخرين ويحاول أن يفهم قوانين المجتمع، وتبدو هذه العملية شاقة بالنسبة للطفل، خصوصاً أنه يقوم بها في اللحظات نفسها التي يقرر فيها الاعتماد على نفسه وعدم الرضوخ لأسرته.

إن هذه الأمور مجتمعة تسبب للطفل ألماً نفسياً بالوقت الذي تشعر الأسرة فيه أيضاً بالألم النفسي تجاه كثرة مناقشاته، وتماديه في عصيان توجيهاتها، والحقيقة لا يوجد مفر من تعامله بهذا الأسلوب رغم أن بعض الأسرة ترى أن الطفل الذي تعود الاعتماد على نفسه يسعى إلى إثارة أعصاب والديه، وترى اسر أخرى أنها عندما توفر للطفل كل شيء يسعى إلى إثارة أعصابها أيضاً. والحقيقة هي أن الطفل يسعى إلى الاستقلال عن الأسرة بينما يشعر بالوقت نفسه أنه بحاجة للاعتماد عليها، ومن بعض تصرفاته في هذا العمر (قضاء معظم الوقت مع الأصدقاء في ركوب الدراجة.. إهمال نظافته.. عدم احترام مواعيد الطعام.. تحدثه بلهجة المتحدي.. محاولته احتلال مكان خاص بالمنزل يزدحم بنقيضين في وقت واحد.. نظام المجلات التي يقرؤها وفوضى في ملابسه التي يقلبها كيفما اتفق) أليس سلوك الطفل مزعجاً في هذه الفترة؟

تحليل ظاهرة السلوك المزعج عند الطفل

لقد درس علماء النفس هذه الظاهرة،

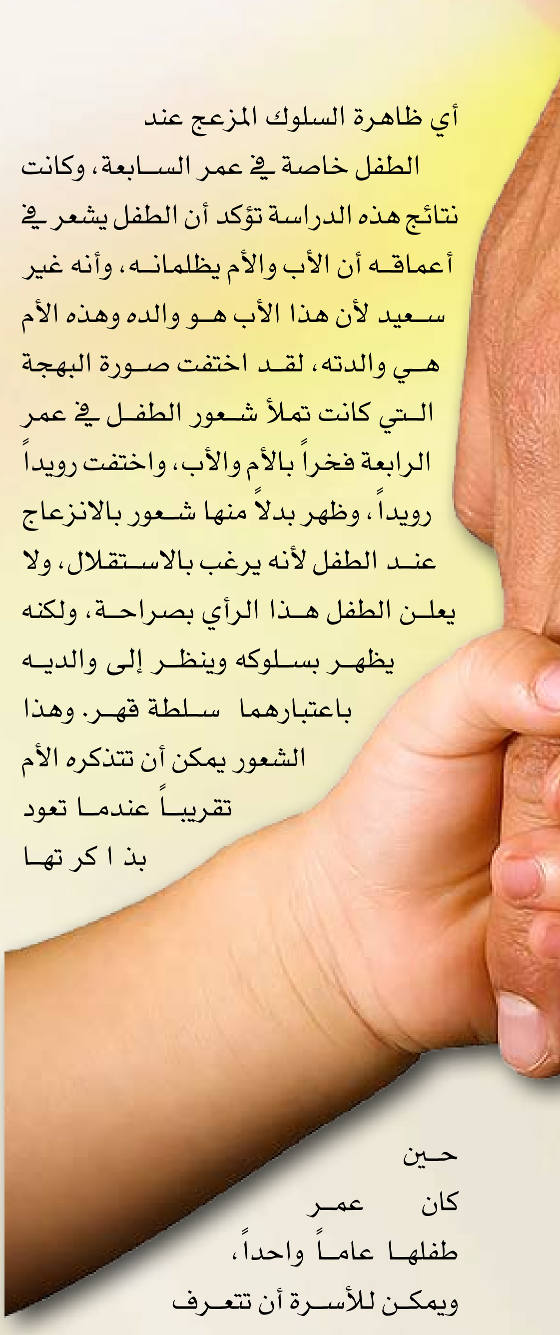

أي ظاهرة السلوك المزعج عند الطفل خاصة في عمر السابعة، وكانت نتائج هذه الدراسة تؤكد أن الطفل يشعر في أعماقه أن الأب والأم يظلمانه، وأنه غير سعيد لأن هذا الأب هو والده وهذه الأم هي والدته، لقد اختفت صورة البهجة التي كانت تملأ شعور الطفل في عمر الرابعة فخراً بالأم والأب، واختفت رويداً رويداً، وظهر بدلاً منها شعور بالانزعاج عند الطفل لأنه يرغب بالاستقلال، ولا يعلن الطفل هذا الرأي بصراحة، ولكنه يظهر بسلوكه وينظر إلى والديه باعتبارهما سلطة قهر. وهذا الشعور يمكن أن تتذكره الأم تقريباً عندما تعود بذاكرتها حين كان عمر طفلها عاماً واحداً، ويمكن للأسرة أن تتعرف إلى هذا الشعور عندما يبلغ ابنها الخامسة عشرة. إن الطفل في هذه الفترة من العمر يكون غاية في الحساسية، وغاية في الرغبة في المناقشة على أي أمر سواء أكان جاداً أم تافهاً. وقد تشعر الأسرة من خلال سلوك طفلها أنه لا يهتم بتوجيهاتها مطلقا، ويعتبرها ظالمة في أسلوب التعامل معه، مما يثير ضيق الأسرة وتوترها وقلقها. ولكن علينا أن ندرك أن الطفل هنا لم يفسد تماماً، وأن أملنا به لم يخب بعد لأنه يحاول أن ينمو، والنمو عملية شاقة بالنسبة إليه. وهو يحاول من خلال المعارضة والمناقشة أن يختار لنفسه طرقاً . إن الطفل يحاول أن يتفهم القيم التي يؤكدها والداه ويستوعبها في داخله، ولكنه يحاول إنكارها في تصرفاته المباشرة محاولاً في هذا الإنكار تأكيد استقلاليته.

دور الأسرة في تشجيع الطفل على الاستقلال التدريجي

علينا أن نبتسم له لأنه يحاول أن يعلن عن وجوده، فالابتسامة للتخفيف من التوتر الذي يسببه لنا، والتغاضي عن سلوكه ليس هو الأسلوب الصحيح في التعامل معه، لأن هذا يؤذيه تماماً، ويشعر في أعماقه بأنه بحاجة للمراقبة والرعاية، وإذا لم يجد من يوقفه عند حده فسيحاول المزيد من التصرفات المزعجة. لذلك لابد من إيقافه عند حده لإرضائه نفسياً، لأن اللوم هنا يؤدي وظيفة هامة بالنسبة للطفل، إنه دليل على الاهتمام به إنه يمتلك في هذه الفترة ضميراً حساساً، ويتقبل التوجيه في أعماقه، ويشعر أنه لابد من أن يقول له أحدهم هذا خطأ وهذا صواب، وأن يقول له ذلك بلهجة حاسمة. كما أنه بحاجة لمن يجزم الأمر معه، ويطالبه أن يقوم بواجبه الدراسي، وأن يحترم نظام المنزل، وأن يكون مهذباً مع الآخرين وأن يحرص على نظافته. إن الرقابة والتوجيه والتنبيه واجبات أساسية بالنسبة للأهل، وعلى الأسرة ألاتتغاضى عن أي سلوك غير مهذب يصدر عن الطفل، لأنه سيحاول دوماً جذب الانتباه إليه، وسيحاول أن يؤكد أنه بحاجة إلى رقابة الأسرة باستمرار.

علينا ألا نتحدث مع أطفالنا بلهجة مملوءة بالكبرياء، أو أية لهجة تشعره بأنه محتقر، فالطفل بحساسيته البالغة قادر على التقاط لهجة المتحدث، لذا علينا باللهجة الهادئة المملوءة بالثقة البعيدة عن اليأس حتى لا يشعر بفقدان ثقته بنفسه، ويعتقد أنه لن يكون إنساناً ناجحاً في المستقبل. لابد أن نضع له قواعد يلتزم بها التزاماً تاماً، كمواعيد الطعام والاستحمام والنوم والترتيب، والتعبير عن غضبه بطريقة مهذبة، وعند خروجه عن هذه القواعد لا بد من تنبيهه بلهجة من الحنان والصداقة والحزم، وقد يتلكأ الطفل قليلاً ليرى هل سننسى ما ننبهه إليه أم لا، لذلك لابد من متابعة التنبيه والتنفيذ الصحيح للتوجيهات وعدم التراجع عنها.

وبالمقابل علينا أن نترك للطفل مجالاً أن يختار طريقه بشيء من الاستقلال، فيختار ملابسه، ويتناول كمية الغذاء التي تناسبه، ولا داعي أن تتحول مراقبتنا له على أنها نوع من المتابعة المتعبة، فهو يجب أن يتابع الموضة التي يعيشها، ويقلد رفاقه في طريقة اختيار ملابسهم.. إلخ. والطفل يكره أسلوب المناورات التي يقوم بها الأب والأم لمقاومة رغباته، فهو يحب أن يكون إنساناً واضحاً، فلماذا لا نكون واضحين معه؟ لذلك لا بد أن نؤكد له استقلاله ورقابتنا في الوقت ذاته، وهذه لاشك معادلة صعبة بعض الشيء، ولكن ما أن نبدأ بها حتى نجد أن ممارستها تتيح لنا فرصة تربية إنسان على الطريقة الصحيحة، وعندما تعترضنا الصعوبات لابد من استشارة الاختصاصي، ولابد أن نتذكر دوماً أن التربية تحتاج إلى صبر وتأن.

المصدر: شؤون الطفل مشاكله وحلوله: ص٧٥.

إنّ هذا لا يُمكن مقاومته

في سنة ١٣٠٩هـ منح الملك ناصر الدين شاه امتيازاً لشركة بريطانية بحصر التبغ، وكان المرجع الديني الأول يومذاك السيد محمد حسن المشهور بالميرزا الشيرازي، فأدرك أن هذه الشركة أكبر خطر يهدد اقتصاد البلاد الإسلامية، وأنها طريق لتحكّم الاستعمار بمصير البلاد، فلم يجد سبيلاً للقضاء عليها إلاّ بتحريم التدخين على المسلمين، وما شاع خبر التحريم حتى تركه البلاد، وكُسّرتْ كل آلة من آلات التدخين، حتى نساء الشاه حطّمن آلات التدخين في القصر بما فيها آلة التدخين الخاصة بالملك، ولما علم الملك بذلك لم يحرك ساكناً تجاه نسائه وخدمه، واضطر إلى فسخ الامتياز، واستراحت البلاد من شرور الشركة البريطانية.

وقيل: إن مدير الشركة سأل: كم يملك هذا السيد من الجيوش والأساطيل؟

فقيل له: لا شيء.

فقال: وكم تبلغ ثروته من الملايين؟

فقيل له: لا يملك شيئاً.

قال: إن هذا لا يمكن مقاومته.

أجل، لو كان يملك الأموال والأساطيل لأمكن أن يقاوم بأساطيل أعظم، وبثروة أضخم، ولكنه يملك القلوب التي لا حول ولا قوة معها للنار والدينار.

وهكذا أمد الله سبحانه هذا السيد بعونه، وسدّده بتوفيقه حين علم منه الإخلاص في النية، والصدق في العمل.

ويضيف العلامة الشيخ محمد جواد مغنية رحمه الله قائلاً: إن صلة المعصوم بالناس إنما هي كصلة الأب الرؤوف بأبنائه الكبار والصغار، الأبرار والفجار، على السواء، ومحال أن تكون للعالم الأهلية لهذا التمثيل إذا لم يكن له عقل كعقل السيد الشيرازي، وقلب كقلبه، محال أن يكون سيداً للجميع إذا لم يكن أباً للجميع، وإذا كان الإنسان لا يبلغ درجة الاجتهاد إلاّ بعد أن يتقن القواعد والأصول المقررة فإن المجتهد لا ينوب عن المعصوم إلاّ إذا ملك القلوب، ولا يملكها إلاّ من كان بأوصاف السيد الشيرازي الذي أوجزها السيد الأمين في كتاب الأعيان بقوله: (كان ثاقب الفكر، راجح العقل، بعيد النظر، مصيب الرأي، حسن التدبير، واسع الصدر، منير الخلق، طليق الوجه، صادق النظر، أصيل الرأي، صائب الفراسة، قوي الحفظ، على جانب عظيم من كرم الخُلق، يوقّر الكبير، ويحنو على الصغير، ويرفق بالضعيف والفقير، أعجوبة في إحاطته، وسعة مادته، وجودة قريحته، آية في الذكاء ودقة النظر والغور، وكان بالإضافة إلى ذلك أديباً يحبّ الشعر وإنشاده، ويجيز عليه، فقصده الشعراء عرباً وعجماً، وراجت بضاعة الأدب في أيامه).

وبالتالي، يجب أن نضع في أفعاله وآرائه مئات المجلدات، ونعرض حياته على المسرح مرات ومرات، نملأ بها الصحف والإذاعات.

المصدر: قصص وخواطر للشيخ البحراني: ص٢٤٢ - ٢٤٣، برقم ١٨٦.

العطاس..

ما هو العطاس؟

يشعر الإنسان بالحاجة إلى العطاس بسبب تعرض نهايات الأعصاب التي في الغشاء المخاطي في الأنف لتهيج ما نتيجة انتفاخ ذلك الغشاء، مثلا عندما نصاب بالرشح، أو عند دخول جسم غريب إلى الأنف مثل حشرة صغيرة أو غبار أو غير ذلك، أو عندما يحل فصل الربيع ويكثر غبار الطلع في الجو، مما يسبب حساسية كبيرة لبعض الأشخاص تعبر عن نفسها عن طريق العطس المتواصل الذي يؤدي إلى إزعاج فعلي وانتفاخ في العينين.

والعملية تحدث بشكل غير إرادي مطلقًا ولا يمكن للإنسان أن يوقفها إلا نادرًا.

والعطسة تؤدي إلى إخراج الجسم الغريب الذي في الأنف نتيجة للهواء القوي المندفع، وإلى إدخال كمية من الأكسجين إلى خلايا الجسم في نفس الوقت.

بعض القبائل الأفريقية تعتبر العطس استردادا للحياة ولهذا تعتبره حدثا مباركا وفي الصين يقولون «إذا عطست وأنت تقامر،فستربح حتما» أما العرب المسلمون فيقولون للعاطس «يرحمكم الله»ويرد العاطس:«يرحمنا ويرحمكم الله».

عندما تعطس تتطاير آلاف الذرات المشبعة بالرطوبة وقد تصل سرعة انطلاق الذرات إلى ٧كم/ساعة وتصل في مداها إلى ٣,٥متر. وتهبط بعض الذرات فور خروجها من الأنف بينما يستغرق هبوط الآخر وقتا أطول وإذا كانت ذرات العطس تحتوي على الجراثيم المؤذية فويل لمن بجنبها ويمكن أن يسبب العطاس في الهواء الطلق اكثر من رشح لمن يصادفها.

لماذا نقول الحمد لله بعد العطس؟

قال الإمام الصادق عليه السلام: «من عطس ثم وضع يده على قصبة أنفه، ثم قال (الحمد لله رب العالمين كثيرا كما أهله، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم) يستغفر الله له طائر تحت العرش إلى يوم القيامة».

وقال عليه السلام: إذا عطس في الخلاء أحدكم فليحمد الله في نفسه، وصاحب العطسة يأمن الموت سبعة أيام، وفي رواية عن صاحب الزمان عليه السلام صاحب العطسة يأمن الموت ثلاثة أيام.[1]

يمكن تفسير قول الائمة المعصومين عليهم السلام حول العطسة بأن الحكمة من قول (الحمدلله) بعد العطسة لأن القلب يتوقف عن النبض خلال العطاس والعطسة سرعتها (١٠٠كم/س) في الساعة، وإذا عطست بشدة من الممكن أن تكسر ضلعاً من أضلاعك.

واثناء العطسة تتوقف جميع أجهزة الجسم التنفسي والهضمي والبولي وبما فيها القلب رغم ان وقت العطسة (ثانية او الجزء من الثانية) وبعدها تعمل إن أراد الله لها أن تعمل و كأنه لم يحصل شيء.

لذلك فان كلمة الحمد لله هو شكر لله على هذه النجاة!!

خطورة منع العطس

إذا حاولت إيقاف عطسة مفاجئة من الخروج، فإنه يؤدي إلى إرتداد الدم في الرقبة أو الرأس ومن ثم إلى الوفاة، وإذا تركت عينيك مفتوحتين أثناء العطاس، من المحتمل أن تخرج من جحورهما.

اكد تقرير طبي فيه عدد كبير من الأطباء بأحد المستشفيات العالمية، أن أي شخص يحاول منع العطاس يمكن أن يصاب بشلل نصفي حيث تبين من خلال البحث الذي أجري على إحدى الطالبات في الرابعة عشرة من عمرها أن سبب إصابتها بالشلل هو بسبب منعها للعطاس لعدة مرات وقد حذر الأطباء من خطورة هذه الحالة التي يعتبرها البعض عادية إلا أن أخطارها يصعب حصرها.

واذا حاولت كبت عطستك فان ذلك قد يؤدي إلى خدش بعض الأنسجة الدقيقة في انفك أو كسر في بعض عظام داخل الأنف وحوله وقد ينتج عن ذلك نزيف الانف او نزيف يلاحظ في بياض العين.

وان سد الخياشيم قد يحول الجراثيم إلى داخل الجيوب الأنفية ويعمل على التهابها والأسوأ من ذلك إن كبت العطسة سيؤدي إلى انتزاع عظمة وسط الأذن من مكانها لكن هذا لا يحدث إلا نادراً.

---

(١)الدعوات لقطب الدين الراوندي: ص١٩٨، برقم ٥٤٢ ـ ٥٤٤
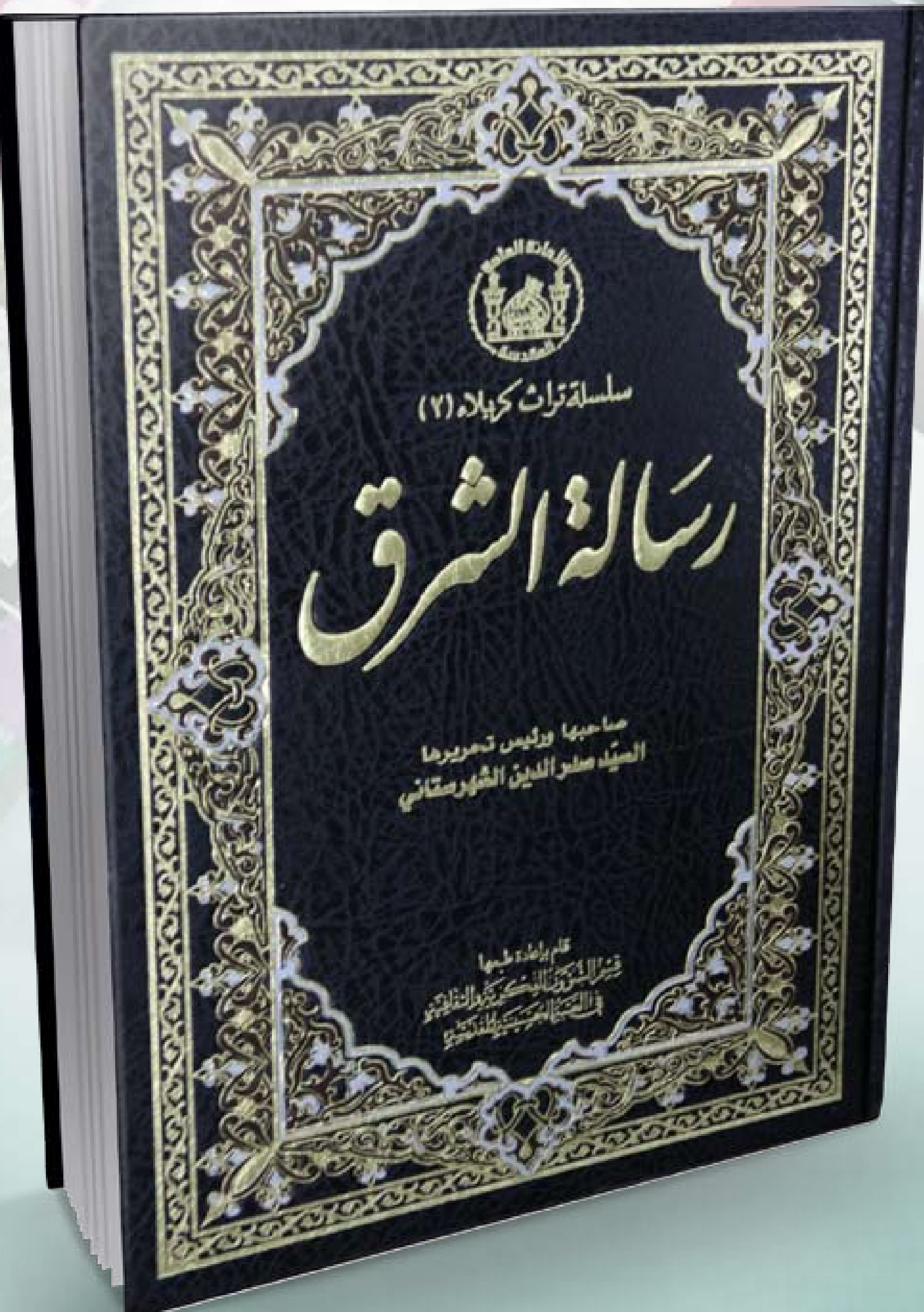
صدر حديثاً عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية
وحدة إحياء تراث كربلاء؛ مجلة رسالة الشرق التي كانت
تصدر في كربلاء عام ١٣٧٣هـ وكان رئيس تحريرها السيد
صدر الدين الشهرستاني ويحررها مجموعة من فضلاء كربلاء